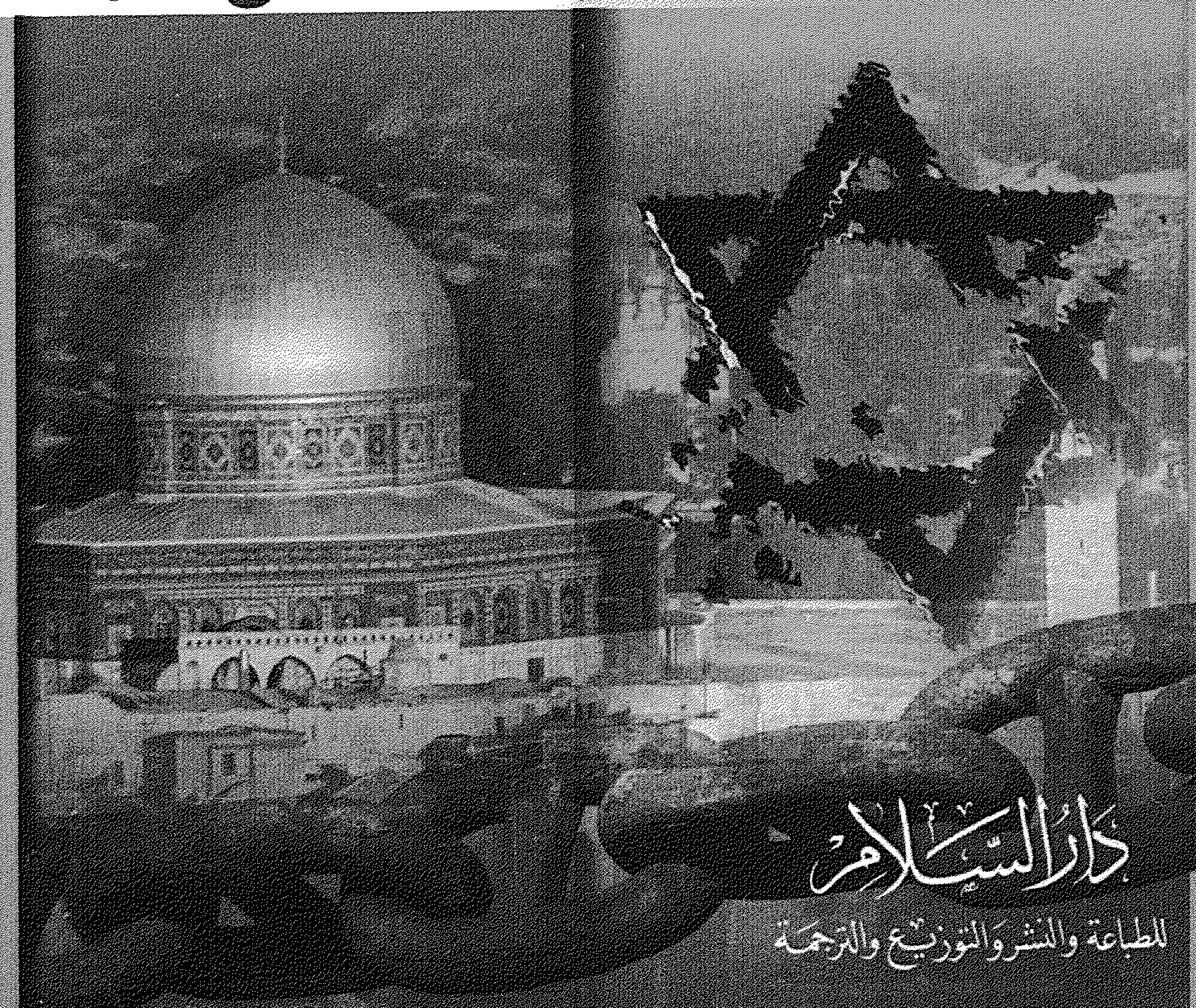
الإسلام والقضية الفلسطينية

د. عبد الله ناصح علوان



دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الإسلام
والقضية الفلسطينية

عبد الله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
e-mail : info @ dar-alsalam.com http ://www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين ساروا على طريق الجهاد المبارك من الشباب والعلماء .

إلى الذين حملوا في أنفسهم أصدق معاني الكرامة والفداء .

إلى الذين هيّؤوا أنفسهم لأعراس الخلود في مواكب الشهداء .

إلى الذين تأسّوا باستشهاد « مروان ، والشيخ موفق ، وحسني ، والشيخ أحمد ، ووليد ، وأسامة ، وعصام ، وأيمن .. » وسائر من استُشهد في ساحات الشرف ولبّوا النداء .

أُهدي هذا الكتاب تقديرًا لبطولاتهم ، وتخليدًا لذكراهم ..

اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنّا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ، واجمعنا وإياهم في مستقرّ رحمتك ، ورحاب جنّتك في مجمعٍ من الملائكة والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ..

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الأستاذ الشيخ سعيد حوّى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد :

فالقضية الفلسطينية أكثر قضايا الأمة الإسلامية تعقيدًا وأكثرها أبعادًا ... سواء في ذلك جانبها العسكري ، أو أفقها السياسي ، أو أسبابها الاجتماعية والحضارية ..

وحتى الآن – في رأيي – لم تواجه هذه القضية بما تحتاجه من أسباب ؛ فلقد انطلق اليهود من خلال آفاق عالمية ، ومن خلال استشراف تام على ما ينبغي فعله ، ومن خلال إحكام لنقاط الانطلاق ؛ فاجتمعت لهم أسباب كثيرة بأيديهم ، واجتمع لهم تأييد عالمي عجيب ، فكان ما أشار الله له بقوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(١)] .

وأمام هذا فقد كان المفروض أن تكون نقطة البداية في المواجهة هي الإيمان والإسلام ، فقد وعد الله ﷻ جنده بقوله : ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [(٢)] .

وبعد الإيمان تأتي أشياء أخرى كلها ضروري ، وكلها لازم ، وكلها مأمورون بها ..

وانطلاقًا من المواجهة الإيمانية الإسلامية ستحدث أشياء كثيرة ، وقد يضطر المسلمون إلى أشياء كثيرة ، ولكنَّ المسرى العام لن يكون إلا جيدًا ولن تكون العاقبة إلا للتقوى .

وبدلًا من نقطة البداية هذه بدأ الذين بيدهم القرار السياسي يتحركون من نقاط بدايات أخرى كان اليهود الأقوى فيها جميعًا ، سواء في ذلك أروقة الأمم المتحدة ، أو العمل السياسي ، أو العمل الإعلامي ، أو المواجهة المادية ، أو مخاطبة المصالح ، أو الركوب على موجة التناقضات .. إلى غير ذلك . فسجلت القضية انتكاسات ، وانتقل العاملون للهدف من تنازل إلى تنازل ، ومن يدري إلى أي حضيض ستنزل القضية ؟!!..

وبعد إذ وصلت القضية إلى ما وصلت إليه ، وأحسّ الناس بخطأ التجربة ، وخطأ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٢ .　　(٢) سورة آل عمران آية : ١١١ .

المسار ، وأدركوا عمق الهاوية .. لم يعد ينفع الترقيع ؛ فلابدَّ من العودة إلى نقطة البداية الصحيحة ، وهي إسلاميَّة المعركة ، بأن يحمل المسلمون الحقيقيون اللواء ، فهذه نقطة البداية الأولى ، ثم يفكِّر هؤلاء في الخطوة الأولى ..

قد تكون الخطوة الأولى إنشاء رباطات للجهاد على طول الحدود الإسرائيلية .. يموِّلها المسلمون في كل مكان في العالم ، ويهاجر إليها المسلمون في العالم ، يجتمع في هذه الرباطات نية الجهاد ، والتدريب عليه ، والعمل في الأرض ، والإقبال على العبادة في المسجد ، والهندسة المناسبة للدفاع ، وقد تكون الخطوة الأولى غير ذلك .

المهمُّ أن نبدأ مسلمين ، وأن ننطلق على قدر إمكانياتنا من خلال رؤيا رشيدة مستوعبة للزمان والمكان .. وتمتلك الاستشراف السياسي والعسكري ، وتتحرك على ضوء برنامج متكامل المراحل . ولابد على الطريق أن تتم مصالحة كاملة على الأرض اللبنانية يطمئن فيها المسيحيون ، ويندفع فيها المسلمون نحو ساحة الصراع الحقيقي بتقديم كل ما يستطيعون للقضية الفلسطينية ..

ولابد أن تكون سوريا حامية لظهر العاملين للقضية الفلسطينية ، ولابد من إحياء الجبهة الشرقية ، ولابد من أن يعتبر العراق الإسلامي هو البعد الاستراتيجي للصراع ، ولابد أن تصبَّ الأمة الإسلامية كلُّها في هذه الجبهة بعد أن تطمئن على إسلاميَّة الجبهة ، وعلى إسلامية أصحاب القضية !!..

وعلى الطريق لابد من تعبئة سياسية وعسكرية لكل الأمة الإسلامية لتفجير طاقات العالم الإسلامي ضدَّ أي قوة تتدخَّل في الصراع المباشر بين أصحاب القضية وبين اليهود .

إن كثيرًا من المسلمين يخطئون – في رأيي – في فهم النصوص ، فيظنون أن دولة اليهود مستمرة حتى قبيل الساعة إلى أن ينزل المسيح ﷺ ، وهذا خطأ ووهم .

فالنصوص تذكر أنه عند نزول المسيح ﷺ تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية ؛ واليهود الذين يُقْتَلون وقتذاك ، والذين يدلُّ عليهم الشجر والحجر بشكل مُعجز هم الذين سيقدمون مع المسيح الدجَّال – عليه لعنة الله – وهذا يشير إلى أن الدولة اليهودية الحاضرة ستُصَفَّى وتنتهي نهائيًا ، ذلك وعد الله سبحانه : ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (١) إن عدتم بالإفساد عدنا عليكم بالتسليط ، وهاهم عادوا وسيعود الله عليهم بالتسليط

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨ .

حين يوجد جند الله .

ولقد أطلعني الشيخ عبد اللّه علوان حفظه اللّه على هذه السطور التي خطّها في شأن القضية الفلسطينية ، فشعرت أن فيها إيجابيات واضحة المعالم ، وخاصة في كونها تذكّر بإسلامية المعركة ، وتوضّح المنهج العملي الموصل إلى النصر .. وهذا الذي ذكره الشيخ هو نقطة البداية التي لا يصلح بدونها شيء ، ولا يتحقق بالإغضاء عنها ظفر !!.

لذلك فقد رأيت أن من المناسب أن تنشر ، وأن تقرأ ، أن يعمل بما جاء فيها .. وكتبتُ هذه المقدمة إعلانًا على ضرورة النشر ، وضرورة القراءة ، وضرورة العمل .. عسى أن تعود فلسطين للمسلمين عزيزة كريمة ..

نسأل اللّه أن يجعل في هذه السطور منفعة ومصلحة للعباد والبلاد إنه خير مسؤول .

سعيد حوّى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد للَّه العظيم القائل : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : (لَغَدْوَة في سبيل اللَّه أو رَوْحَة خير من الدنيا وما فيها) [2] ؛ وعلى آله وأصحابه والتابعين ممن ابتعثهم اللَّه لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه .. وعلى مَنْ نهج نهجهم ، وسلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد :

فإن القضية الفلسطينية هي من القضايا المحوريَّة الهامة التي تأخذ في العصر الحاضر اهتمام الإسلام والمسلمين ؛ ولاشك أن الإسلام بنظامه الكامل ، ومنهجه الواضح لم يقف مكتوف اليدين تجاه الكوارث التي تنتاب المسلمين ، وتهزُّ كيانهم ، وتفقدهم أصالتهم .. وإنما يضع من الحلول الجذريَّة ، والطرق الإيجابية .. ما إن أخذ المسلمون بهديها ومشوا على سننها ، فاللَّه سبحانه يبدِّلهم من بعد خوفهم أمنًا ، ومن بعد ذلَّتهم عزة ..

فلم تكن كارثة الصليبيين على القدس في القرن الخامس الهجري ، ولم تكن حادثة استيلاء المغول والتتار على العالم الإسلامي في القرن السابع منه .. من المصائب التي يكتب لها الخلود على مدى الدهر ، وإنما كان هذان الحدثان بسبب أمراض خلقية وقعت ، وتصرُّفات طائشة حدثت ، وانحرافات سياسية انتشرت .. فكان لابد مما ليس منه بُدٌّ .

ولكن حينما هيَّأ اللَّه سبحانه قادة مؤمنين ، وساسة مخلصين .. استطاعوا بالتزامهم « منهج الإسلام في التحرير والوصول إلى النصر » أن ينتصروا على الأعداء ، وأن يخلِّصوا الأمة الإسلامية من ضخامة الكارثة ، وفداحة المصيبة ، وأن يكتبوا في التاريخ لوحات النصر المبارك ، تفخر به الأجيال المؤمنة على كرِّ الأيام ، ومدى العصور !!.

والمصيبة التي أصابت المسلمين اليوم ليست أعظم من مصيبتي الصليبيين والمغول

---

(١) سورة التوبة آية : ٤١ .

(٢) أخرجه : الترمذي في السنن (١٦٥١) وأحمد في مسنده ١٤١/٣ ، والطبراني في الكبير ٣٨٨/١١ .

بالأمس . فإذا أتيح لهذه الأمة قادة مؤمنون على مستوى المسؤولية ، والاهتمام للقضية . يتبنَّون قضية فلسطين على أساس التزام « منهج الإسلام في التحرير والوصول إلى النصر » فلاشك أنهم منصورون بإذن الله ، بل يزيلون من الوجود حتمًا دولة إسرائيل .

وهذا الكتاب الذي بين يديك – أخي القارئ – هو الذي يوضح لكل مؤمن المنهاج العملي الذي وضعه الإسلام في انتصار المسلمين على اليهود ، واستئصالهم من الوجود ..

الله أسأل أن يلهم حكام المسلمين في كل مكان في أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التحرير ، عسى الله سبحانه أن ينصرهم على أعدائهم ، وعسى أن يمحوا من التاريخ خزي الهزائم ، واحتلال فلسطين .. إنه خير مسؤول ، وبالإجابة جدير .

عبد الله ناصح علوان

توطئة وتمهيد

كلنا يعلم أن البلاد العربية خاضت مع إسرائيل أربع حروب طاحنة خلال ثلث قرن من الزمان :

الحرب الأولى عام ١٩٤٨ م .

الحرب الثانية عام ١٩٥٦ م .

الحرب الثالثة عام ١٩٦٧ م .

الحرب الرابعة عام ١٩٧٣ م [1] .

فماذا كانت النتيجة ؟

النتيجة أن تقدمت إسرائيل تقدمًا ظاهرًا ملموسًا ، وأحرزت في حروبها كلِّها نصرًا مؤزرًا عزيزًا ..

- فأصبحت بحوزتها المناطق الزراعية الخصبة كحيفا ويافا والضفَّة ..
- وأصبحت تحت سيطرتها المواقع الاستراتيجية الهامَّة كمرتفعات الجولان ..
- وأصبح تحت قبضتها ونفوذها المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى محمد ﷺ .

أما العرب :

فقد سجلوا في تاريخ المآسي والنوائب أبشع هزيمة منكرة في القرن العشرين !!. أمام مَنْ ؟ أمام أذلِّ أمة على مرِّ التاريخ ، أمام مَنْ جعل اللَّه منهم القردة والخنازير ، أمام مَنْ حَلَّ عليهم غضب اللَّه ولعنته إلى يوم الدين ، أمام مَنْ عُرِفوا بالغدر والخيانة ، أمام من اتَّصفوا بالخسّة والدناءة والنذالة ، أمام اليهود أصحاب المكر والغدر عبر العصور والتاريخ ؟!!.

وعلى أعقاب هذه الهزائم المنكرة وجد من العرب مَنْ صالح إسرائيل ، وأعطى الذلة من نفسه طائعًا مختارًا ، ووقَّع بيده الآثمة صكَّ الخيانة ، وعار الأبد !!..

ووجد منهم مَنْ يُقِرُّ التفاوض مع اليهود إذا انسحبت إسرائيل من الأراضي التي احتلُّوها بعد حرب / ١٩٦٧ / م !!.

---

(١) مع الفارق مع ما قبلها وتحفظنا على ذلك (الناشر) .

ووجد منهم مَنْ يقول : إن العرب على استعداد للتفاهم إذا نفَّذت إسرائيل مقرّرات هيئة الأمم !!.

ووجد منهم من يقول : إن القضية الفلسطينية لا تحل إلا بعد أن تعترف إسرائيل بدولة فلسطينية أو حكم ذاتي للفلسطينيين !!..

إلى غير ذلك من هذه التصريحات الاستسلامية التي يطلقها بين الفينة والفينة زعماء عرب ، وشخصيات مسؤولة .. وعلى ضوء هذه التصريحات والحلول والاقتراحات لابد لي أن أقول :

ماذا تعني هذه التصريحات والأقوال ؟

أليست تعني الاعتراف الصريح بالوجود الإسرائيلي ؟

أليست تعني أن إسرائيل أصبحت آمنة على مخططاتها ، مطمئنة على تآمرها .. في قلب الوطن العربي الإسلامي ؟

أليست تعني أن أمريكا أصبح لها في قلب البلاد العربية قواعد عسكرية ، ومصالح سياسية واقتصادية ؟

أليست تعني أن إسرائيل ستسير خطوة خطوة في تنفيذ مخطَّطها التوسعي : من الفرات إلى النيل ؟

أليست تعني أن البلاد العربية ستبقى مهدَّدة بخطر الحرب والاعتداء من إسرائيل ومَنْ وراءها في كل لحظة وآونة ؟

* * *

أما عن اليأس والقنوط :

الذي أصاب أبناء الأمة في المشارق والمغارب فحدِّث عنه ولا حرج ، حتى وجد من هؤلاء من يقول :

* ماذا جنينا في حروبنا الأربعة مع إسرائيل ؟ إننا لم نُجْنِ غير الخزي والعار ، والهزيمة والشَّنار !!.

* إلى متى سنبقى فريسة الحروب ، وضحية المخاطر ؟!!.

* إلى متى سينتهي شبح الحرب لنعيش في ديارنا آمنين مطمئنين ؟!!.

* لو كان في الحرب نتيجة لقدمنا أموالنا ودماءنا محتسبين طائعين !!.

* لا أمل .. لا نتيجة .. لا نصر .. في حروبنا القادمة مع إسرائيل !!.

* كفانا خزيًا وعارًا فيما أصابنا ولا حول ولا قوة إلا باللَّه !!.

* فليبادر حكام العرب إلى مصالحة إسرائيل إذ لا أمل من المسلمين في استعادة المسجد الأقصى ، وتحرير الأرض المقدسة !!..

هذا ما كنا نسمعه من لسان البعض عقب الحرب الرابعة عام /١٩٧٣/ بل هذا لسان حال الكثير من أبناء الأمة الذين أخذهم اليأس ، وامتلكهم القنوط في هذه الأيام !!..

ولكن هل يجوز شرعًا أن نعترف بالوجود الإسرائيلي ؟.

وهل يجوز شرعًا أن يُصاب الناس باليأس ، وأن يمتلكهم القنوط ؟.

فإذا كان لا يجوز – كما سنبينه فيما بعد – فما هي الطريقة التي وضعها الإسلام في تحقيق الانتصار ؟ ، وما هو المنهج الذي رسمته الشريعة في حرب مستقبلة حاسمة يعرف الناس نبأها بعد حين ؟.

هذا الكتاب سيوضح أمام شباب الإسلام في كل مكان المنهج العملي في تحقيق النصر على إسرائيل وغير إسرائيل .. من وجهة نظر الإسلام .

وسيكون لهم – بعونه تعالى – منارًا هاديًا ، ونبراسًا مضيئًا .. في استعادة المجد ، وتحقيق النصر . وإقامة العزَّة للمسلمين ، وما ذلك على اللَّه بعزيز .

الفصل الأول

حقيقتان لابدَّ من ذكرهما

قبل أن أشرع في تبيان المنهج الذي رسمته الشريعة الإسلامية في تحقيق النصر على إسرائيل يحسن أن أبيِّن لكل ذي عقل وبصيرة هاتين الحقيقتين :

الحقيقة الأولى : أهمية الأرض الفلسطينية .

الحقيقة الثانية : تعرية الأمة اليهوديَّة .

ولنتكلم عن كل حقيقة بشيء من التفصيل ، وعلى اللّٰه قصد السبيل .

أ - أهمية الأرض الفلسطينية :

مما لا يختلف فيه اثنان أن لفلسطين قيمة تاريخية وحضارية ودينية ، ومزايا اقتصادية وسياسية وجغرافية .

والذي يعنيني في هذا المقام أن أتكلم عن أهمية فلسطين تاريخيًّا ، وعن قيمتها دينيًّا ، وعن مغزاها سياسيًّا ..

ولنعرف مبلغ هذه الأهمية فلنستمع إلى ما يقوله سبحانه في سورة الإسراء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١) .

فهذه الآية بينت صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ، وأشارت إلى الارتباط الروحي والتاريخي فيما بينهما ، ثم ألقت الضوء على أن بقعة المسجد الأقصى بقعة طاهرة مباركة مقدسة لها شأنها ولها أهميتها .

ولنستمع في هذا المقام إلى ما يقوله الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في مقال نشرته مجلة الحضارة في الستِّينات : « أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهو صلة الشرف بالشرف ، فسكان مكة هم أشرف أهل الأرض ؛ لأنهم حرَّاس الكعبة وسدنتُها من لدن أن بناها إبراهيم عليه السلام ، والمسجد الأقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ ؛ فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين ، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين ، ليهتدي العالم الضالُّ ،

---

(١) سورة الإسراء آية : ١ .

والإنسانية التائهة .. بنور الإيمان ، ورسالة الإسلام !! » .

وتمضي السنوات بسرعة فائقة بعد حادثة الإسراء ، والمسلمون يدقون أبواب بيت المقدس هادين فاتحين ، وأسلم معظم أهله عن طواعية واختيار مخلصين صادقين .. وَمِنْ ثمَّ ينطلقون من بيت المقدس شرقًا وغربًا ، وشمالًا وجنوبًا .. ليضعوا الشام والعراق ومصر في مملكة واحدة ، تنبعث منها جيوشهم إلى أنحاء الدنيا فاتحة محررة ..

هذا هو أوَّل أنباء المعجزة الخالدة في قضية الإسراء والمعراج ، وهذا أوَّل تفسير واقعي وسياسي لمغزاها العميق !!..

ثم يمضي التاريخ مسرعًا وإذا جيوش الصليبيين تدُّق أبواب بيت المقدس مغتصبة ظالمة ، وإذا المذابح تجري أنهارًا في شوارعها ومسجدها الأقصى ، وإذا هي عاصمتهم الدينية لمدة تقارب مائة عام ، ولقد فعلوا من الأفاعيل المخزية ما يندى له جبين التاريخ ، وما تتأوَّه له الأجيال المتعاقبة !!..

ثم يمضي التاريخ مسرعًا ، فإذا البطل صلاح الدين الأيوبي يدقُّ أبواب بيت المقدسْ مرة أخرى ، ويحَررها من ربقة الصليبيَّة الحاقدة اللئيمة ، ويردُّ الحق إلى نصابه ، ويرفع في سماء القدس راية الإسلام عالية خفَّاقة .. فلا يُراق دم ، ولا تنتهك حرمة ، ولا يُخْفَر عهد .. وعامل الصليبيين الحاقدين - بعد النصر - ما شرَّف التاريخ على مدى الزمان والأيام !!.

ويظلُّ بيت المقدس وفلسطين كلُّها تحت حكم المسلمين ، وتظَّل كنائسها ومعابدها أمانة في أيديهم ، يحسنون القيام بها ، والحفاظ عليها حتى تدخلها جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، ويقول القائد الإنكليزي « أَلِنْبِي » قولته المشهورة أمام ضريح صلاح الدين : « الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين » ، يقول ذلك وهو يظنُّ أنهم انتزعوها إلى الأبد من أيدي المسلمين ، ويأبى الإنكليز أن يخرجوا من فلسطين إلا بعد أن يخلِّفوا وراءهم صنيعتهم القزم « إسرائيل » .

وها هي ذي الدول الكبرى .. « وعلى رأسها أمريكا » تساند اليهود ، وتعترف بإسرائيل ، وتمدها بالسلاح والعتاد .. وتفتعل مع عملائها الحروب الطاحنة لتنفيذ المخطط الذي تحلُم به إسرائيل حتى انتهت المأساة في حرب / ١٩٦٧ / وهي أن يقع المسجد الأقصى ، وبلد الإسراء والمعراج فريسة سائغة في قبضة اليهود !!.

ولسنا ندري ما تكشف به الأيام القريبة عن نتائج هذه الحروب المفتعلة ، وعن مطامع اليهود التوسُّعية وعن تنفيذ مخطَّط إسرائيل ؟..

فهل عرفنا السّر في حادث الإسراء والمعراج ؟ ، وهل أدركنا الآن أيَّ مغزىً سياسي عظيم قد انطوى عليه هذا الحادث المعجز ؟ وهل علمنا ارتباط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ، والصلة بينهما دينيًا وتاريخيًا ؟ وكأن اللّه سبحانه أخذ العهد على المسلمين في كل زمان ومكان بأن يحافظوا على المسجد الأقصى محافظتهم على المسجد الحرام لكونه أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومسرى محمد ﷺ .

* * *

ثم ماذا عن صلاة النبي ﷺ إمامًا بالأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى في معجزة الإسراء كما دلت عليها الروايات الثابتة الصحيحة ؟.

* أليست تدل هذه الإمامة على فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين ؟.
* أليست تدل على أن الرسالات السّماوية ملتقية جميعًا في مقاصدها وأصولها ؟.
* أليست تدل على أن رسالة الإسلام ناسخة لكل الشرائع السابقة ومهيمنة عليها ؟.
* أليست تدل على أن دعوة الإسلام دعوة عالمية ، نزلت لهداية الإنسانية كافَّة ؟.
* أليست تدل على أن المسجد الأقصى يجب أن يشعَّ منه النور الإسلامي على العالم ؟.

– يقول اللّه في سورة البقرة : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] .

– ويقول في سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ [2] .

– ويقول في سورة المائدة : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [3] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٠ – ٤١ .
(٢) سورة النساء آية : ٤٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٨ .

– ويقول في سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) .

– ويقول في سورة سبأ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) .

فبناءً على هذه النصوص التي تنطق بالحق وجب أن يدخل في الإسلام ، ويؤمن بنبوَّة محمد عليه الصلاة والسلام كل من بلغته الدعوة الإسلامية على حقيقتها سواءً أكان المبلَّغ عربيًّا أو أعجميًّا ، نصرانيًّا أو يهوديًّا ، كتابيًّا أو مجوسيًّا .. من غير إجبار ولا إكراه !!.

* * *

ثم ماذا عن أهالي فلسطين بعد ظهور الإسلام ؟

من المعلوم تاريخيًّا أن فلسطين قبل ظهور الإسلام كانت خاضعة للحكم الروماني ، وكان أكثر أهلها يدينون بالعقيدة النصرانية وقتئذ ؛ فلمَّا ظهر الإسلام ، وانتصر المسلمون على الروم في موقعة اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، رضي أهالي فلسطين أن يصالحوا المسلمين على جزية من المال لهم مقابل حمايتهم على أن يبقوا على دينهم ولا يضارَّ أحد منهم .

وإليكم نصُّ المعاهدة التي عاهد عليها عمر بن الخطاب ﷺ أهل فلسطين إبَّان الفتح الإسلامي : **« هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء (فلسطين) من الأمان .. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم .. لا يكرهون على دينهم ، ولا يضارَّ أحد منهم .. »** .

ولكن معظم أهالي فلسطين وغيرهم من شرق البلاد وغربها اعتنقوا الإسلام لسببين :

١ ـ لتبشير الأناجيل بالنبي ﷺ :

هذا التبشير جاء صريحًا في الأناجيل التي بين أيدينا مع ما اعتراها من التحريف والتبديل ، وجاء صريحًا على ألسنة القساوسة والرهبان .

● **أما تبشير الأناجيل به ﷺ** : فقد جاء في إنجيل « بُرنابا » ٢٧/٤١ ما يلي :

---

(١) سورة النساء آية : ١٧٠ .
(٢) سورة سبأ آية : ٢٨ .

ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ، صدقوني أني رأيتهُ ، وقدمتُ له الاحترام كما رآه كل نبيٍّ ؛ لأن اللَّه يعطيهم من روحه نبوَّة ، ولما رأيته امتلأتُ عزاءً قائلًا : يا محمد : ليكن اللَّه معك ، وليجعلني أهلًا أن أحلَّ سير حذائك ؛ لأني إن نلتُ هذا صرت نبيًّا عظيمًا ..

وجاء في إنجيل « يوحنا » وهو من الأناجيل المعتمدة عند النصارى لفظِ « فارقليط » ، وهو معرَّب من اللفظ اليوناني الأصيل « باراكلي طوس » ، ومعناه : (المعزِّي ، والمعين ، والوكيل) ، ويشابهه لفظ « بيريكلوطوس » ، ومعناه : (محمد ، أحمد ، محمود) . يرى صاحب كتاب « إظهار الحق » للعلَّامة « رحمة اللَّه الهندي » : [أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جدًّا ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، وأن تصحيف « بيريكلوطوس » إلى « باراكلي طوس » من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجَّح أهل التثليث [1] هذه النسخة « أي المصحَّفة » على النسخ الأخرى ..] .

وهذا الذي ذكره العلَّامة الهندي حق ؛ لأن أهل التثليث في معتقدهم الباطل يريدون أن يكتموا الحقَّ ، ويحرِّفوا الكلم عن مواضعه حتى لا تقوم الحجَّة عليهم في وجوب اتِّباع النبي ﷺ ، وضرورة الإيمان به !!.

ومما يؤكد هذا التحريف للكلم : ما نقله الأخ الدكتور « حسن ضياء الدين عتر » في كتابه « نبوَّة محمد ﷺ في القرآن » عن العلَّامة « عبد الوهاب النجار » : أن المستشرق الإيطالي « كارلو نلينو » كان يحضر دروس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكان آنئذ حاصلًا على شهادة الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية ، فجعل يجلس بجانب الشيخ النجار وهو طالب ، حتى انعقد بينهما أواصر الصحبة المتينة ؛ فقال له الشيخ النجار : ما معنى « بير يكلوطوس » ؟ فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها « المعزِّي » ، فقلت : إني أسأل الدكتور « كارلو نلينو » الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسِّيسًا !! ، فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » ، فقلتُ : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حَمِدَ ؟ فقال : نعم .

---

(١) أهل التثليث : هم النصارى الذين يعتقدون أن اللَّه هو ثالث ثلاثة ، والثلاثة هم : الأب وهو اللَّه ، والابن وهو عيسى ، وروح القدس هو جبريل ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

فقلتُ : إن رسول اللّه ﷺ من أسمائه « أحمد » ، فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيرًا .. ثم افترقنا ، وقد ازْدَدْتُ بذلك تثبيتًا ويقينًا في معنى قوله تعالى : على لسان عيسى عليه السلام ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١) .

وبناءً على ما ذكرناه أن اللفظ « المعزِّي » أو لفظ « فارقليط » المذكور في الأناجيل المعتمدة عند النصارى معناه : التبشير بنبي اسمه « محمد » أو « أحمد » .

● **وأما التبشير به وذكر مواصفاته على ألسنة القساوسة والرهبان فأكثر من أن تُحصى :**

أ – جاء في كتاب السيرة المحمدية : (أن أمية بن أبي الصلت الثقفي عندما قال لأبي سفيان : إني لأجد في الكتب صفة نبيٍّ يبعث في بلادنا ، فكنتُ أظنُّه أني هو ، وكنت أتحدَّث بذلك ثم ظهر لي أنه من بني عبد مناف ..) .

ب – وجاء أيضًا في الكتاب نفسه : (وهذا الراهب « بكا » في بلاد الشام يصف الرسول ﷺ المنتظر « لأبان بن سعدِ » حتى قال « أبان » : فوصفه فما أخطأ في وصفه شيئًا ، ثم قال لي : وهو واللّه بنبي هذه الأمة ، واللّه ليَظهَرنَّ) .

ج – وجاء في كتاب « دلائل النبوة » ما يلي : (وهذا صاحب عموريَّة وراهبها يقول لسلمان الفارسي رضي الله عنه : « قد أظلَّك زمان نبيٍّ هو مبعوث بدين إبراهيم الخليل يخرج بأرض العرب ، مهاجرُهُ إلى أرض بين حرَّتين بها نخل (أي المدينة) ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوَّة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل) .

د – وجاء في دلائل النبوَّة أيضًا : (ثم ألم يعرف الراهب « بحيرة » رسول اللّه ﷺ دون عناء عندما رآه – وكان طفلًا – قرب بصرى الشام ، ونصح عمه أبا طالب بالعودة به خوفًا عليه من اليهود ؟) .

هـ – ومما ذكره القرآن الكريم أن النجاشي ومن معه من القسيسين والرهبان قد أسلموا لما عرفوا الحق من بعثة النبي ﷺ ، ومن مواصفاته التي جاءت مطابقة للإنجيل ، عرفوا ذلك بواسطة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة . قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

(١) سورة الصف آية : ٦ .

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّٰلِحِينَ ﴾ [1] .

وعامل التبشير هذا عامل مهمٌّ في اعتناق كثير من النصارى دين الإسلام لما عرفوا من الحق عن طريق الرهبان المنصفين في زمانهم ، والأناجيل التي كانت بين أيديهم .. ومما هو جدير بالذكر أن الأناجيل التي كانت متداولة في أيدي القسيسين والرهبان في صدر الإسلام كانت أقرب إلى الصحة من الأناجيل المتداولة في زماننا هذا ؛ لأن الكثير من النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبيٍّ قد أظل الناس زمانه ، فتحقق لهم ما كانو يؤملون !!.

٢ - للمعاملة الكريمة الرحيمة التي كانوا يلقونها :

* من هذه المعاملة أنهم لا يجبرون على ترك دينهم لقوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [2] .

* ومن هذه المعاملة أنهم كالمسلمين في المحافظة على الحقوق ، للحديث الذي رواه أبو داود : « مَنْ ظلم معاهدًا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئًا من غير طيب نفسه ؛ فأنا حجيجه يوم القيامة » [3] .

* ومن هذه المعاملة يجب حمايتهم من كل اعتداء ، لما روى البخاري أن عمر ﷺ أوصى الخليفة من بعده بذمَّة رسول الله ﷺ : أن يوفِّي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل مَنْ ورائهم ، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم [4] .

* ومن هذه المعاملة أن يتركوا أحرارًا في معابدهم وأحوالهم الشخصية .. وقبل قليل سمعنا ما فعله عمر ﷺ في إعطاء الأمان لأهل فلسطين ، وكان منه : الأمان على كنائسهم وصلبانهم .

* ومن هذه المعاملة تحقيق التكافل لعجزتهم وضعفائهم .. ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج أن الخليفة عمر ﷺ مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية والحاجة والسن ، فقال : ما أنصفناك ، كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيَّعناك في

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٢ - ٨٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٣) أخرجه : أبو داود في الإمارة (٣٠٥٢) .

(٤) أخرجه : البخاري في الجزية (٣١٦٢) .

كبرك ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه ..

* ومن هذه المعاملة أن الجزية تسقط عنهم إذا دخلوا في الإسلام عن طواعية واختيار . ومما يرويه التاريخ أن عاملًا من عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر : أن الدخول في الإسلام أضر بالجزية ، ففرضها على من أسلم ؛ فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : قبّح اللّه رأيك .. إن اللّه سبحانه لم يرسل محمدًا ﷺ جابيًا ، وإنما أرسله هاديًا ، فإذا أتاك كتابي هذا فارفع الجزية على من أسلم من أهل الذمة !!.

وإليكم هذه المأثرة التي كتبها التاريخ بأحرف من المفاخر والخلود :

لما غزا التتار بلاد الإسلام ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ، ثم عادت الغلبة للمسلمين ، ودان ملوكهم بالإسلام ، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى ، فسمح له الأمير التتاري بفكِّ أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بأهل الذمَّة ؛ فقال له شيخ الإسلام : لابد من فكِّ الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمَّتنا ، فأطلقهم له !!.

فانطلاقًا من هذه المآثرة الكريمة ، والمعاملة الرحيمة .. دخل الكثير من أهل الكتاب في الإسلام ، واعتنقوا مبادئه السامية ، بل كانوا من جملة المساهمين في بناء الحضارة الإسلامية ، وصناعة الأمجاد والتاريخ .. وما ذاك إلا حينما تولَّدت لهم القناعة التامة بعدالة الإسلام ، وسماحة المسلمين ، وقيادة خلفائه الصادقين المخلصين .

وإليكم ما شهد به المنصفون من مستشرقين وقساوسة :

● يقول « غوستاف لوبون » قولته المشهورة : [ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب] .

● ويقول الأستاذ « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » صفحة /٦٦-٦٧/ : [لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في « فحل » كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى المسلمين يقولون : « يا معشر المسلمين ، أنتم أحبّ إلينا من الروم ، وإن كان الروم على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكفّ عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا ..] .

ويقول : [وغلَّق أهل مدينة حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحبُّ إليهم من ظلم الإغريق وتعسُّفهم ..] .

ويقول البطريق « عيشويايه » عام / ٦٥٦ / هـ : [إن العرب الذين مكَّنهم الربُّ من السيطرة على العالم ، يعاملوننا بعدالة كما تعرفون ، إنهم ليسوا أعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملَّتنا ، ويوقِّرون قدِّيسنا ، ويمدُّون يد العون إلى كنائسنا وأديارنا ..] ..

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن لأرض فلسطين قيمة كبرى وأهمية عظمى ..

* إليها أُسري بنبينا عليه الصلاة والسلام .

* ومنها صلَّى إمامًا بالأنبياء والمرسلين .

* وإلى جهتها أمرهم أن يتوجَّهوا في صلاتهم ستة عشر شهرًا .

* وإلى المسجد الأقصى أمرهم أن يشدُّوا رحالهم ، ويتعبدون اللَّه في رحابه .

فهي أُولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومسرى محمد ﷺ .

وقد دخل أهل فلسطين في الإسلام - بعد معاهدة عمر ﷺ - عن طواعية واختيار ، للمعاملة الكريمة الرحيمة التي لمسوها ، ولمعالم التبشير بالنبي ﷺ التي تحقَّقوها .. وقد ساهموا - بعد إسلامهم - في بناء الحضارة الإسلامية ، وصناعة الأمجاد والتاريخ ، وانطلقوا مع المجاهدين إلى أنحاء الدنيا محرِّرين فاتحين ، والتاريخ أكبر برهان على ما نقول !!.

لهذا كله نعتبر أرض فلسطين جزءًا لا يتجزأ من الوطن الإسلامي الكبير ، ونعتبر اليهود مغتصبين ظالمين .. فلا يجوز للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يتقاعسوا عن تحريرها حتى آخر شبر من أرضها مهما كلَّفهم ذلك من شهداء وتضحيات ، بل يجب أن يعتبروا الحفاظ على المسجد الأقصى كالحفاظ على المسجد الحرام سواء بسواء !!..

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) .

ب - تعرية الأمّة اليهودية :

لا توجد أمة في القديم ولا في الحديث حملت إلى العالم لواء المكر والخبث والدهاء .. مثل الأمة اليهودية !!.

ولا يوجد عنصر من البشر على مدار التاريخ طغى في الأرض وأفسد فيها ، وأوقع

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٥٢ .

الفتنة بين أممها .. مثل العنصر اليهودي !!.

ولكي نجسِّد للناس حقيقة مكرهم ، ونصوِّر للأمم مبلغ فسادهم .. يحسن أن نقسِّم مكرهم إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : مكرهم قبل الإسلام .

الدور الثاني : مكرهم بعد الإسلام .

الدور الثالث : مكرهم في العصر الحديث .

وسنتكلم عن كل دور من هذه الأدوار الثلاثة بشيء من التفصيل ، وعلى الله قصد السبيل :

الدور الأول : مكرهم قبل الإسلام

بما أن القرآن الكريم أعظم وثيقة تاريخية على الإطلاق ، نذكر أولًا ما سرده القرآن الكريم عن مكر اليهود وفسادهم ، ومعاملتهم السيئة لأنبيائهم ؛ ثم نعرج إلى ما أفصح عنه التاريخ في حقيقة هذا المكر ، وهذا الفساد !!.

فلنستمع أولًا إلى ما سرده القرآن الكريم :

يقول الله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [١] .

أعلم الله بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ، ويفرطون في الظلم والعدوان والاستكبار !!.

ويقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [٢] .

أخبر الله سبحانه أن بني إسرائيل اتخذوا العجل من دون الله حينما غاب موسى عليه السلام عنهم أربعين ليلة .

ويقول الله سبحانه في سورة البقرة : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٤ . (٢) سورة البقرة آية : ٥١ . (٣) سورة البقرة آية : ٦١ .

أخبر اللَّه سبحانه أن الذلة والمسكنة ضربت عليهم ، وغضب اللَّه نزل بهم لكفرهم الأثيم ، واعتدائهم الظالم ، وقتلهم الأنبياء بغير الحق ..

ويقول في سورة النساء : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (١) .

أخبر اللَّه ﷻ أنهم كفروا وقالوا عن السيدة مريم أنها زانية ، وأن المسيح عليه السلام قد صُلِب .. إلى غير ذلك من هذه الافتراءات والأضاليل ..

– ويقول في سورة المائدة : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٢) .

أخبر اللَّه سبحانه أنهم لم يمتثلوا أمر موسى عليه السلام حين أمرهم بأن يقاتلوا قومًا جبَّارين .. فكان جوابهم : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ .

– ويقول في سورة المائدة : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ ﴾ (٣) .

أخبر اللَّه تعالى أنهم شرٌّ مكانًا لكفرهم وتعنُّتهم وظلمهم وعبادتهم العجل .. من أجل هذا لعنهم اللَّه وغضب عليهم ، وجعل منهم القردة والخنازير !!.

– ويقول في سورة المائدة : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ ﴾ (٤) .

أخبر اللَّه ﷻ أنهم قالوا عن اللَّه سبحانه أن يده مقبوضة عن العطاء ، وأخبر أيضًا أنهم أصحاب فتنة وفساد ، وعداوة وبغضاء .. كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها اللَّه .

– ويقول في سورة المائدة : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٥) .

(١) سورة النساء آية : ١٥٦ – ١٥٧ .
(٢) سورة المائدة آية : ٢٤ .
(٣) سورة المائدة آية : ٦٠ .
(٤) سورة المائدة آية : ٦٤ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٨ – ٧٩ .

أخبر اللّٰه سبحانه أنهم ملعونون على ألسنة الرسل عليهم السلام ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

هذا غيض من فيض مما ذكره القرآن الكريم عن حقيقة مكرهم وفسادهم ، ومعاملتهم السيئة لأنبيائهم ، واستكبارهم في الأرض بغير الحق ، وقولهم على اللّٰه ما لا يليق به سبحانه !! [1] .

وهذا لا يمنع أن يكون منهم فئة مؤمنة أخلصت في إيمانها ، وصدقت في اتباعها لأنبيائها ، ولكنها قلة بالنسبة للكثرة الكافرة الظالمة .. يقول اللّٰه سبحانه في سورة المائدة : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ [2] وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

* * *

أما ما دوَّنه التاريخ في صفحاته :

فحسبنا أن نذكر – كما ثبت تاريخيًا – أن اليهود هم الذين ابتدعوا فكرة النفاق منذ وجودهم على الأرض .

ومن الأمور المجمع عليها لدى الباحثين في علم الأجناس والأديان والأمم .. أن حاخامات اليهود . وكبار رجال دينهم .. أوعزوا لشدَّة مكرهم إلى كثير من أشياعهم في مختلف الأقطار ، وعلى مراحل متفاوتة من العصور أن يذوبوا في المجتمعات التي يعيشون فيها أقلية مستضعفة ، وأن يتظاهروا بالدخول في أديانهم أو معتقداتهم .. بقصد الإساءة إليها وتحريفها ، وتغيير خطِّ سيرها .. بحيث تخدم مصالحهم ، وتحقق أهدافهم .. في الوقت الذي يأمنون فيه على أنفسهم من مضايقة خصومهم ، ويكونون فيه في مركز يوفِّر لهم الأمن ، وأسباب الفتنة ، وتسديد الضربة من داخل عدوِّهم دون أن يتنبَّه أحد لأمرهم !!.

– ومن المجتمعات التي ذابوا فيها ، ونفَّذوا فيها مخطَّطهم ، وخدموا في أرجائها مصالحهم (**مجتمع الفرس**) حيث انتحل كثير من اليهود دين المجوسية ، حتى صاروا

(١) ارجع أخي القارئ إلى القرآن الكريم ولا سيما سورة البقرة ، والمائدة ، والأعراف .. تجد الكثير من أعمالهم القبيحة ، وأخلاقهم الخسيسة ، ومكرهم السافر .

(٢) مقتصدة : معتدلة وهم من آمن منهم . (٣) سورة المائدة آية : ٦٦ .

من كبار كهنتها .. وتمكَّنوا أن يحرِّضوا ملوك فارس على ملوك الأرض ، وأن يؤلِّبوا المجوسية على المسيحية .. وهكذا يفعلون !!.

- ومن تلك المجتمعات أيضًا (**المجتمعات الوثنية في أوروبة**) ، حيث ذاب فيها كثير من اليهود حتى صاروا أعظم حماسًا للوثنية من الوثنيين أنفسهم ، وتوصَّلوا إلى أعلى المراتب في الحكومات المتعاقبة .. مما أتاح لهم أن يكونوا ملوكًا مثل « **نيرون** » وسهل عليهم أن يحرِّضوا الشعوب الوثنية على حرب المسيحية .

- ومن تلك المجتمعات كذلك (**المجتمعات المسيحية في أوروبة وغير أوروبة**) ، وذلك حين اعتنق الامبراطور « **قسطنطين** » المسيحية ، فانخرطوا في المسيحية وذابوا في مجتمعاتها حتى تمكنوا أن يحصلوا على أعلى مراتب الكهنوت ، فتمكَّنوا بذلك من خلق المذاهب المتناحرة ، والفرق الكثيرة المتشاجرة .. بعد أن تمكَّنوا قبل ذلك من تحريف الإنجيل نفسه ، وتلاعبوا بتفسيره بشكل يخدم أهواءهم ومصالحهم ، ويتمشَّى مع مخطَّطهم السري في سحق المسيحية والقضاء عليها ..

فكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت نيران الحروب بين الطوائف المسيحية ، والتهمت هذه النيران من أبنائها ما لا يحصى عدده دون أن يتأثر يهودي منافق واحد !!

وبذلك تمّ لهم ما أرادوا حيث استهلكوا المسيحيين بالمسيحيين ، كما استهلكوا المسيحيين بالمجوس والوثنية !! ..

ومما يؤكد كثير من المراقبين للأحداث ، والمتبعين للتاريخ .. أن المنافقين من اليهود اعتلوا البابوية أكثر من مرة ، وجعلوا الآخرين الذين تحت إمرتهم دُمىً يحركونهم بأيديهم ، ويسوقونهم لخدمة المسيحية في الظاهر ، ولخدمة المصالح اليهودية في حقيقة الأمر وواقع الحال [1] .

الدور الثاني : مكرهم بعد الإسلام

إن المتتبّع لأفعال اليهود الإجرامية بعد ظهور الإسلام يجد أن المكر اليهودي وصل أوجه ، وبلغ أشدَّه ، ولا سيما حين علم اليهود أن النبوة أضحت بالعرب ، وأن

---

(١) ومما يذكر في هذا المقام أن المكر اليهودي بلغ أوج النفاق والخديعة حين أمكن أن يصدر « البابا » فتوى يبرئ فيها ساحة اليهود من دم المسيح ، مكذبًا بذلك جميع الأناجيل والأجيال والبابوات على مدى عشرين قرنًا من الزمان !!.

الإسلام نسخ الديانات السابقة برسالة عالمية شاملة ، وتشريع ربَّاني خالد ..

إذن فلْتبيَّتْ المؤامرات ، ولتُدبَّرْ المكائد .. لإبطال نبوَّة محمد ﷺ ، وطمس معالم الإسلام ..

وإليكم أبرز أساليبهم اللئيمة ، وأظهر مؤامراتهم الغادرة في عصر النبي ﷺ بشكل خاص ، وفي العصور التي تلت بشكل عام ..

أما أساليبهم ومؤمراتهم في عصر النبوة فنجملها بما يلي :

● **فمن أساليبهم : كتمانهم الحق وهم يعلمون** ، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

● **ومن أساليبهم : تحريفهم الكلم عن مواضعه** ليقولوا على اللّه الكذب ، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

● **ومن أساليبهم : ردُّ مَنْ آمن من المؤمنين إلى الكفر** ، قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٣) .

● **ومن أساليبهم : إبطالهم نبوَّة رسول اللّه ﷺ** ، كقولهم : إن اللّه أخذ علينا العهد في التوراة أن لا نؤمن لرسول إلا إذا جاءنا بقربان تنزل عليه النار من السماء فتأكله ، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (٤) .

● **ومن أساليبهم : إيقاع الفتنة بين المسلمين** ، ومن أمثلة ذلك : أنهم رأوا الأوس والخزرج بعد الإسلام متآخين متحابين .. فأرسلوا من يندسُّ بينهم ليذكِّرهم شيئًا من مفاخر الحرب يومَ بُعاث . فاستطاع أن يحمي أنف الفريقين ، ويثيرهما على بعضهما ،

(١) سورة البقرة آية : ١٠١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٩ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٣ .

فقاموا وتنادوا إلى السلاح ، وكادت أن تقع بينهما فتنة ؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأسرع إليهم ، ووعظهم بكلام مؤثر ، وكشف لهم عن مراد اليهودي الدسَّاس ، فندموا وتعانقوا وتصافحوا .. فأنزل الله هذه الآيات من سورة آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [١] .

● ومن أساليبهم : **التشكيك بالعقيدة الإسلامية** ، وذلك أنهم كانوا يبعثون فريقًا منهم فيؤمنون برسول الله ﷺ ، فيفرح بهم المسلمون ، ويشيع خبر إيمانهم في المدينة ، ولكنهم لم يلبثوا حتى يعودوا إلى الكفر بحجَّة أنهم درسوا حال الرسول ﷺ عن قرب ، ودرسوا طبيعة دينه عن تدبُّر . فلم يجدوه الرسول الذي بشَّرت به التوراة ، ولم يجدوا قرآنه المنزَّل من السماء .. وبعد تمثيل هذا الدور الخسيس يعلنون للملأ أنهم مضطرون إلى أن يعودوا إلى اليهودية مادام النبي المنتظر لم يبعث بعد ، وبهذا الأسلوب الفاجر اللئيم يصدُّون عن سبيل الله من آمن ، ويتركون البعض في شكٍّ وحيرة .. قال تعالى في تمثيل دورهم هذا في سورة آل عمران : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢] .

● ومن أساليبهم : **اللجوء إلى الاستهزاء والسخرية** ، كاستهزائهم بالأذان وتغيير القبلة .. ونحوها من شعائر الدين .

قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [٣] وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [٤] .

● ومن أظهر مؤامراتهم : **تآمرهم على المسلمين في غزوة الأحزاب** ، وذلك أن نفرًا من اليهود في غزوة الأحزاب ، وعلى رأسهم : سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب ، وغيرهم .. خرجوا حتى قدموا على قريش ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا معكم حتى نستأصله .

فقالت قريش : يا معشر يهود : إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقِّ منه !!.

---

(١) ارجع إلى الآية : ١٠٠ حتى ١٠٣ من سورة آل عمران تجد فيها التحذير من اليهود ، والدعوة إلى التآلف ، والاعتصام بحبل الله ..
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٢ .
(٣) سورة المائدة آية : ٥٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٢ .

وسرَّت قريش بما سمعت ، وزادها إصرارًا على العدوان ، فواعدت اليهود أن تكون معها في الزحف على المدينة ؛ وترك زعماء اليهود قريشًا إلى أعراب غطفان ، فعقدوا معهم حلفًا مشابهًا لما تمَّ مع قريش ؛ ودخل هذا الحلف عدد من القبائل الناقمة على الدين الجديد ..

وبذلك نجح ساسة اليهود في مؤامراتهم السرِّية ، واستطاعوا أن يؤلِّبوا أحزاب الكفر على النبي ﷺ ودعوته ، ولكن اللَّه ﷻ مَزَّقهم شرَّ ممزَّق ، وجعلهم عبرة لمن يريد أن يعتبر ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

● **ومن مؤامراتهم أيضًا : تآمرهم على قتل الرسول ﷺ** ، وذلك في إحدى زيارات النبي ﷺ لهم ، وهم يهود بني النضير ، وقصتهم مشهورة في سورة الحشر .

ماذا كان موقف الرسول ﷺ منهم ؟.

حين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة عقد معهم صلحًا على أن لا يخونوا عهدهم ، وأن لا يؤلِّبوا أحدًا من الأعداء عليهم .. وكان يجادلهم بالتي هي أحسن ، ويدعوهم إلى الإيمان بالكتب المنزلة ، والإيمان بالرسل جميعًا .. ويذكِّرهم بنعمة اللَّه عليهم .. كل ذلك رجاء أن يوفوا بالعهد ، ويدعوا للحق ..

ولكن لما تراءى للرسول ﷺ أنهم أهل دس وفساد ، وأصحاب غدر وخيانة .. وأن وجودهم في المدينة يؤدي إلى بعث فتنة وتآمر وتألُّب على الإسلام والمسلمين .. عندئذ اتخذ في حقهم المواقف التالية :

– **من هذه المواقف أمره عليه الصلاة والسلام بقتل نفر من اليهود :**

فهذا كعب النضيري ابن الأشرف الذي قتله الصحابي محمد بن مسلمة .

وهذا أبو عَفَك اليهودي الذي قتله الصحابي سالم بن عمير .

وهذا أبو رافع الخيبري الذي قتله الصحابي عبد اللَّه بن عتيك .

وهذا أُسَيْر بن رزام الخيبري الذي قتله الصحابي عبد اللَّه بن أنس .

وهذه عصماء بنت مروان اليهودي التي قتلها الصحابي عمير بن عدي الأعمى .

– **ومن هذه المواقف : أمره بالجلاء التام عن المدينة :**

ومن هؤلاء الذين أجلاهم يهود بني النضير ، ويهود بني قينقاع .. قال تعالى في

سورة الحشر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) .

– ومن هذه المواقف : موافقته على قتل بني قريظة حين حكم سعد عليهم :

فحكم عليهم سعد بن معاذ : أن تقتل رجالهم ، وأن تسبى ذريَّتهم ، وأن تغنم أموالهم ، فقال النبي ﷺ : « قضيت بحكم اللَّه تعالى » (٢) .

وقد قُتلوا جميعًا واحدًا بعد واحد .. ولما نفَّذ حكم الإعدام في زعيمهم : حيي ابن أخطب ، ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل ، نظر إلى رسول اللَّه ﷺ ثم قال : **أما واللَّه ما لمتُ** نفسي في عداوتك ، ولكن مَنْ يَخْذُل اللَّه يُخْذَلْ ، ثم جلس **فضربتْ عنقُه** .

وذكر القرآن الكريم قصتهم في سورة الأحزاب حين قال : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٣) .

وهكذا كانت عقوبة الإسلام عادلة ورادعة في حق كل ماكر من اليهود ، خائن للعهد ، خافر للذمة .. لأن اللين مع الحاقدين اللؤماء لا ينفع ، والتسامح مع الماكرين الخبثاء لا يجدي !!.

وما أحسن ما قاله المتنبي في هذا المعنى :

ووضع النَّدى في موضع السيف بالعُلا

مضرٌّ كوضع السيف في موضع النَّدى

وهذا لا يمنع أن يكون من أحبارهم وعقلائهم أناس دخلوا في الإسلام عن إيمان

---

(١) سورة الحشر آية : ١ – ٤ .

(٢) كان هذا الحكم بعد غزوة الخندق حين نقضوا العهد ، وتواطأوا مع الأحزاب .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٦ – ٢٧ .

وإخلاص حين تبيَّن لهم أنه الرسول المبشر به في التوراة ، والمبعوث في آخر الزمان كأمثال عبد الله بن سلام ، وزيد بن سعنة ﷺ .

ولكن هؤلاء الذين أخلصوا في إسلامهم لا يذكرون بالنسبة للكثرة الكافرة والبقية الماكرة ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [(١)] .

* * *

أما أساليبهم ومؤامراتهم في العصور المتعاقبة فهي على النحو التالي :

قبل أن نعدِّد أساليب اليهود ، ومؤامراتهم خلال العصور يحسن أن نعرِّف بشخصيتين يهوديَّتين ماكرتين لهما في تاريخ المكر والتآمر عبر الأجيال الأثر الكبير :

الأولى : عبد الله بن سبأ .

والثانية : ميمون القداح .

أما عن شخصية عبد الله بن سبأ [(٢)] :

فقد كان إبليس المنافقين من اليهود ، فهو الذي اخترع فكرة التشيُّع المغالية لعليٍّ كرم الله وجهه ولآله من بعده واستغلها لهدم الإسلام ؛ وهو الذي نسب الألوهية إلى شخص عليٍّ بادعائه أن روح الإله حلَّت فيه ؛ ولما استُشهد عليٌّ ﷺ هو الذي قال : « إن عليًّا لم يقتل ، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ﷺ ، وأنه سينزل إلى الدنيا ، وينتقم من أعدائه » ؛ وهو الذي وسوس لخاصته أن عليًّا يجري في السحاب ، وأن الرعد صوته ، وأن البرق سوطه ، حتى صار السبئيُّ إذا سمع صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

وهو الذي زرع بذور الفرقة ، وسبَّب تعدُّد الفرق ، وأثار النَّعرات العصبية الجاهلية في المجتمع الإسلامي .. وهو الذي دبَّر مقتل الفاروق عمر ﷺ بالاشتراك مع الحاقدين على الإسلام من غير اليهود .. وهو الذي أشعل نار الفتنة في عهد عثمان ﷺ ، وما زال يُزْكيها ، وينفخ في أتونها المستعر حتى انتهت الكارثة بمحاصرته في داره ثم استشهاده ﷺ ؛ وهو الذي أزكى روح التمرُّد في الخوارج حتى انتهت الفتنة بمقتل

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٦ .

(٢) هو يمني صنعاني ، الملقب بابن السوداء ، تظاهر بالإسلام نفاقًا في صدر الإسلام

علي ﷺ !!.

ولم يكن الدافع لابن سبأ إلى كلِّ هذه الدسائس والكيد والفتن .. إلا حقده الدفين على الإسلام والمسلمين ، ورغبته الأثيمة بتنفيذ حلقة تلو حلقة من سلسلة مكائد اليهود لزعزعة صرح الإسلام العظيم ، وتفتيت دولة المسلمين العتيدة .

أما ميمون القداح [1] :

فلم يكن أقل كيدًا ودسًّا على الإسلام والمسلمين من عبد اللّٰه بن سبأ ، فتظاهر بالإسلام نفاقًا ، لينصب للمسلمين الحبائل ، ويدسَّ في صفوفهم الدسائس .. هو الذي ابتدع أن للنصوص من قرآن وسنة ظاهرًا وباطنًا ، وصار يزعم للمتحدثين به أن هذه التفسيرات والتأويلات التي ابتدعها ، وأظهر رموزها هي المعاني الباطنية لهذه النصوص ، وهي من العلم الذي لا يعرفه إلا خواصُّ الناس ..

واستطاع تحت هذا الشعار أن يتلاعب بتفسير الآيات والأحاديث كما يشاء له هوى التضليل في مبادئ العقيدة ، ونظام الإسلام !!.

وهو الذي اتخذ للحركة اليهودية المقنَّعة أسلوبًا جديدًا لاجتثاث الإسلام من جذوره ، إذا اتسمت بسمات المنظمات المزودة بأمكر أشكال التنظيم السرِّي ، وأخذت هذه المنظمات تزداد دقَّة ، وعمقًا وحذرًا .. في أطوار متعددة ، وأشكال متنوِّعة .. وقد تعدَّدت فرقها وأسماؤها ، واتحدت أهدافها وغاياتها !!.

واستطاع دعاتها أن يصلوا بأتباعهم إلى الإلحاد باللّٰه وسائر أركان الإيمان .. وإلى اعتقاد سقوط جميع الفرائض الإسلامية ، والتكاليف الشرعية .. مع استباحة جميع المحرمات ، واستباحة نكاح الأخوات والبنات ، وشيوعية الأموال والنساء ، والانسلاخ من جميع التعاليم الإسلامية !!..

وسلك هذا الخبيث الماكر مسلك سلفه اليهودي اليمني « عبد اللّٰه بن سبأ » في الخبث والمكر والتضليل والهدم ، والدس والفتنة .

ولم يكن « ميمون » و « ابن سبأ » وحدهما في تدبير هذا التآمر الحاقد اللئيم على الإسلام والمسلمين ، بل اشترك في هذه المهمة دهاقنة اليهود في كل زمان ومكان ، حيث اتخذوا النفاق ستارًا لدعوتهم الهدامة ، والتستر بالإسلام مظهرًا لمكرهم

---

(١) ظهر هذا اليهودي الماكر في الكوفة سنة / ٢٧٦ / هـ .

الخبيث !!..

بعد هذا البيان نُعرِّج إلى ذكر أهم الدسائس والفتن التي قام اليهود على تدبيرها خلال العصور :

أ – **ففي أوائل القرن الأول للهجرة** : تمَّ على أيديهم اغتيال الخليفة عمر ، والخليفة عثمان ، والخليفة علي ﷺ كما سبق ذكره ، وفي هذه العهود نشر المنافق اليهودي الكبير « عبد الله بن سبأ » بذور الفتن الأهلية ، والفرق المذهبيَّة وكوَّن أول فرقة باطنية تحت ستار التشيُّع لآل البيت .. ثم تتابعت الفرق بعدها لتقوم بمهمتها في التضليل والهدم واستئصال عقيدة الإسلام .

ب – **وفي أواخر القرن الثالث للهجرة** : شقَّت المنظمات الباطنية طريقها ، وتعدَّدت فرقها في المجتمعات الإسلامية على يدي المنافق اليهودي « ميمون القدَّاح » حيث استطاعت أن تؤثر على السذَّج البسطاء من المسلمين ، فاعتقدوا مذهبهم ، وداروا في فلكهم ، فدخلوا في الكفر بعد الإيمان !!.

جـ – **وفي القرن الخامس الهجري** حكمت العراق دولة شيعية تحكم بلاد فارس ، وتعرف باسم الدولة البويهية ، فعظم شأن اليهود في عهدهم ، واشتدَّ خطرهم على المسلمين ، وتسلطوا على مقدَّراتهم المالية والسياسية لدرجة دفعت الشعب المغلوب على أمره أن يثور على السلطة الحاكمة في العراق ، وأن يحرق منازل الشيعة واليهود سواء بسواء عام / ٤٢٢ / هـ .

د – **وفي القرن السابع الهجري** : كان لصنائع اليهود العامل الأعظم في سقوط بغداد على يد « هولاكو » ملك التتار بسبب خيانة الوزير الشيعي « ابن العلقمي » ضد سيده « المستعصم بالله » آخر خلفاء بني العباس ؛ ومأساة سقوط بغداد أعظم من أن يحيط بها وصف ، أو يصوِّرها مؤرخ .. حيث ظن الكثير من الناس آنئذٍ أن القيامة قد قامت !!.

هـ – **وفي القرن الثامن الهجري** ، كان بعض ملوك التتار قد أسلموا ، وبعضهم قد اعتنق المذهب الشيعي المغالي الذي نشره ابن سبأ ، وميمون القداح اليهوديان ، ومن هؤلاء المتشيعين « غياث الدين الجاتيوخدا بنده محمد » ، فقد كان هذا المتشيِّع أشدَّ على المسلمين من أجداده الحاقدين ؛ فتحالف مع الصليبيين واليهود ضد المسلمين ..

في عهده اعتلى اليهود في بغداد والموصل وغيرهما من البلاد أعلى المناصب ، وكانت بيدهم أوسع الصلاحيات حيث كانوا يقهرون المسلمين بكل وسيلة . وقد عمل « غياث الدين » المذكور تحالفًا مع البابا ، وملوك إنكليز وفرنسا لحرب المسلمين وقهرهم !!.

فلما تولى الحكم من بعده ابنه « أبو سعيد بهادر خان » عام / ٧١٦ / هـ وكان على العقيدة الحقّة من مذهب أهل السنَّة والجماعة ، قطع علاقاته مع الصليبيين ، وضيَّق على اليهود ، وعزلهم عن مناصبهم ، وفي عهده تنفَّس المسلمون الصعداء ؛ ولكن فرحتهم لم تكتمل حيث اغتيل « أبو سعيد » بتدبير من اليهود عام / ٧٣٦ / هـ .

و - **وفي القرن العاشر الهجري** ، كان للشيعة الغلاة دولة باسم الدولة الصفوية ، وكان لليهود فيها المركز المرموق ، فاستغلُّوا مناصبهم أبشع استغلال ، وحرَّضوا الصفويين على شن الحرب ضد الدولة العثمانية (السنية) ، ورتَّبوا أمر الاستعانة بالبرتغاليين الذين أصبحت لهم السيادة على الخليج العربي ، واحتلُّوا (جزيرة هرمز) ، وكان ذلك في عهد « إسماعيل الأول » عام / ٩٣٠ / هـ .

ز - **وفي القرن الرابع عشر الهجري** ، تمت الكارثة الكبرى ضد نظام الخلافة الإسلامية على يد جمعية يهودية ماسونية كانت تسمى « بجمعية الاتحاد والترقي » وقد تأسست هذه الجمعية لإسقاط الخلافة ، وفتح أول باب لليهود للولوج إلى فلسطين .. وتمَّ ذلك على يد الخائنين العميلين : « كمال أتاتورك » [1] و « عصمت إينونو » وسائر أعضاء « جمعية الاتحاد والترقي » .. فهم الذين قاموا على تنفيذ الجريمة الدينية والسياسية ، وهم الذين فرضوا على مجلس الأمة التركي عام / ١٩٢٤ / م اتخاذ القرار بإلغاء الخلافة الإسلامية ، وإعلان علمانية الدولة ، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ؛ وذلك بإلغاء المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث . وجعل الآذان بالتركية ، وحروف الكتابة باللاتينية بعد أن كانت بالعربية ، واستبدال الأزياء الإسلامية بالأزياء الإفرنجية .. وانتهى ذلك كله عام / ١٩٢٨ / م !!.

هذا غيض من فيض ، مما كان يفعله اليهود وأشياعهم وعملاؤهم وصنائعهم ..

---

(١) ذهب الكثير من الباحثين أن أتاتورك يهودي الأصل ، وماسوني النشأة .. وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا .

بالمسلمين عبر التاريخ وخلال العصور ، متسترين بالانتساب للإسلام زورًا وبهتانًا ، ومبطنين الكفر والإلحاد اعتقادًا وضلالًا .. همُّهم الأكبر نشر الفساد ، وإذلال العباد ، وتخريب البلاد .. حتى يتم لليهود الظفر على شعوب الأرض ، والسيطرة على زمام العالم !!.

الدور الثالث - مكرهم في العصر الحديث

في مطلع القرن الرابع عشر الهجري لجأ اليهود – لعنهم اللّٰه – إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر سعيًا لما تصبوا إليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الأرض ، ومد سلطانهم على مواطن القوة في العالم ، ووضعوا نصب أعينهم ثلاثة أهداف رئيسية ليصلوا إلى ما يريدون :

الهدف الأول : تجزئة أمم الأرض ، وإغراء بعضها ببعض ، وإثارة الحروب فيما بينها ، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها .

الهدف الثاني : إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها ، وإبعادها عن صراط اللّٰه ..

الهدف الثالث : إقامة دولة إسرائيلية ، مركزها فلسطين ، وامتدادها الأكبر من الفرات إلى النيل .

والغاية المتوخاة من هذا كله هو فقد هذه الأمم عوامل قوتها ومجدها ، ثم بالتالي لتكون دائمًا تحت سيطرة اليهود ونفوذهم ، وتنفيذ مخططاتهم وأهدافهم . حتى لا تقوم لأيِّ أمة قائمة كيان وقوة في العالم !!.

ومن حيلهم الخبيثة التي اتخذوها لتجزئة الأمم وإفسادها ، وإقامة دولتهم الكبيرة .. تأسيس الجمعيات السرِّية في كل بقعة في العالم ، ولعل من أهم هذه الجمعيات وأبرزها ، وأقواها نفوذًا وسلطانًا « الجمعية الماسونية » .

ولكن ما هي الماسونية وما هي مبادؤها وأغراضها ؟

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة في كتابه « مكائد يهودية » صفحة : (٢١٩) :

لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية – المحاطة أهدافها الحقيقية بسرية عظيمة – أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدوارًا خطيرة في تاريخ الأمم ، وأثرت تأثيرًا

مباشرًا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكّمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء الستار أصابع المكر اليهودي الذي يُحْكِمُ إخفاء نفسه ، في الوقت الذي يكون فيه هو المدير الحقيقي للعمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها .. في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية ؛ ولو لم يكن لليهود في هذا عدد كبير من عملائهم لما استطاعوا أن يفعلوا شيئًا لصالح اليهودية العالمية .

ومن المؤكد أن الجمعية الماسونية التي يقبض على ناصية قمتها في العالم دهاة من أحبار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آلية ، يتحرك فيها الأفراد دون أن يشعروا إلى أين يسيرون ، وإلى من يعملون ؟.

ولقد يبلغ الدهش عند بعض الباحثين مبلغه حينما يعلمون أن حروبًا عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على إثارتها وإشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم .

ولسنا الآن بصدد الكلام عن تأسيس الماسونية ، وبيان مراتبها ، والكشف عن رموزها وأسرارها وطريقتها .. فمن أراد التوسعة في هذا كله .. فليرجع إلى كتاب « مكائد يهودية » للأستاذ حبنكة ، فإن فيها ما يشفي الغليل .

ولكن الذي نحن بصدده الآن وهو إزاحة الستار عن مخططات الماسونية اليهودية في إقامة دولة إسرائيل ، وحرب الأديان ، وانهيار الأخلاق ، وإفساد المجتمعات الإنسانية هنا وهناك !!.

* * *

إليك - أخي القارئ - هذه المخططات مفصلة :

١ – مخططهم في إقامة دولة إسرائيل :

إن مقدمة نشأة القومية [١] في عالمنا الإسلامي تبدأ مع بدء التجمُّع اليهودي الصهيوني ، وسعيه الحثيث في انتزاع بيت المقدس ، واستلاب فلسطين !!.

---

(١) من رسالة « هكذا القومية » للأستاذ سعيد رمضان البوطي ، كانت قد نشرتها لجنة مسجد الجامعة السورية .

فقد كانت الخلافة الإسلامية إذ ذاك تطوِّق معظم بلاد الإسلام بطوق متين من الوحدة المتراصَّة ، والإخاء الصادق النبيل .. على ما كانت تعانيه الخلافة من ضعف وتأخر وانفكاك !!.

وكان المحور الذي استقطب من حوله هذا التجمُّع اليهودي الصهيوني هو المحفل الماسوني الذي تأسس في أواخر عهد الدولة العثمانية باسم « محفل الشرق العثماني » ، فقد كان هذا المحفل مكَوَّنًا من كبار الأغنياء ، والوجهاء ، ورءوس اليهود ، وبعض كبار ضبَّاط الجيش .. وكانت مدينة « سالونيك » مركزًا رسميًّا ، وهي المدينة التي ترعرعت في أحضانها جماعة يهود « الدونمة » . وبدأت أول محاولات اليهود المباشرة للاستيلاء على فلسطين بدخول الثريِّ اليهودي الماسوني « قرَّه صو » على السلطان « عبد الحميد » بواسطة مرافقه « عارف بك » ، فقد قال له إذ ذاك بالحرف الواحد : « إنني قادم مندوبًا عن الجمعية الماسونية لرجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينتكم الخاصة ، ومائة مليون كقرض لخزينة الدولة بلا فائدة ، على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات في فلسطين » !!.

فما هو إلا أن تغير وجه السلطان غيرة وغضبًا .. والتفت إلى مرافقه الذي دخل بواسطته قائلًا : « أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير ؟ » .

ثم نظر إلى « قرَّه صو » وصاح في وجهه قائلًا : « **اخرج من وجهي يا سافل !!** » فخرج « قرَّه صو » من عنده قاصدًا إلى إيطاليا ، ومن هناك أرسل إلى السلطان « عبد الحميد » البرقية التالية : « أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلِّفك أنت شخصيًّا ، ويكلِّف مملكتك كثيرًا » .

وفي هذه الأثناء قابله زعيم صهيوني آخر هو « هرتزل » برفقة الحاخام « موسى ليفي » ، وراح يرجوه في تزلُّف أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذي يريد ، فقال له السلطان : « عبد الحميد » رَحِمَهُ اللَّهُ بالحرف الواحد : « **إن هذه الأراضي قد امتلكها المسلمون بالدماء ، وهي لا تباع إلا بنفس الثمن** » .

وهكذا يئست اليهودية وماسونيتها من إمكان إغراء الخلافة الإسلامية ببيع فلسطين ، أو التنازل عنها مهما كان الأجر والثمن .. وهذا ما شرف السلطان عبد الحميد إلى الأبد ، فراحت تسلك إلى ذلك سبيلًا آخر مستعينة بالمكر البريطاني للوصول إلى الهدف الخبيث .

أما المؤامرة التي دبِّرت لذلك :

فهي ما قامت به « الجمعية الماسونية » من إشاعة أن السلطان « عبد الحميد » اتفق مع العرب على مؤامرة يراد منها الكيد للشعب التركي ، والقضاء على العنصرية التركية ، وأن دعوى « الجامعة الإسلامية » التي يدعو إليها السلطان ليست إلا غطاء دينيًّا يراد منه ستر هذه المؤامرة .

وأوحت إلى أحد الكتاب الملاحدة وهو « ضياء كوك آلب » مع شرذمة من أتباعه .. بفكرة إيقاظ القومية التركية الطورانية وفلسفتها ، والدعوة لها ، والعلوّ في تمجيدها .. فاستجابوا لذلك ، وراحوا يبشرون بالعقيدة الجديدة ، ويملأون من الحديث عنها أدمغة الشباب والطلاب .. مستعينين على ذلك بترداد ما أشاعته فلول الماسونية عن الجامعة الإسلامية ، وما يكمن وراءها .

وكان تأثير ذلك أن تألَّفت من مجموعة هؤلاء الداعين والمستجيبين « جمعية الاتحاد والترقي » التي ثارت على السلطان عبد الحميد ، واستطاعت إزاحته عن الحكم ، ثم انتهت فيما بعد إلى إلغاء الخلافة ، وإعلان علمانية الدولة .

فجمعية الاتحاد والترقِّي إذن هي جمعية يهودية ماسونية وكان من أبرز أعضائها : كمال أتاتورك ، وعصمت إينونو .

تأسست هذه الجمعية لفتح أول باب لليهود في الطريق إلى فلسطين .. بل بذلت كل جهدها وإمكانياتها في سبيل تقويض الخلافة .. واستعانت على ذلك بإزكاء النعرة القومية التركية الطورانية ، *والدعوة إليها والغلوّ في تمجيدها . يعلم ذلك كل مثقف واعٍ لا يكذب على الحقيقة ولا على التاريخ ..*

غير أن سلاح القومية التركية لم يكن وحده أمل اليهود في القضاء على حصن الخلافة ، وإنما استعملوه ليكون منطلقًا لبثِّ الدعوة إلى قوميات متعارضة متناقضة فوق الأرض الإسلامية .. كي تقوم هي بعملية الثورة والانفجار الذي يزلزل عرش الخلافة ، ويكسر طوقها المتين المحيط من حولها .

هكذا أفهم وزير المستعمرات البريطانية كبار قادة اليهود ، وهكذا خطَّط لهم .

سمع العرب باسم القومية التركية تهتف بها حناجر الأتراك .. إذا بهم يقولون : ولكننا نحن عرب .. وهل القومية التركية أولى بتمثيل الدولة الإسلامية من القومية

العربية ؟ متى كان ذلك ؟ قالوا : هذا الكلام بوحي من أثر ردَّة الفعل التي طفحت بها نفوسهم .. وانساقوا وراء العاطفة والدعاية .. دون أن يسبروا غور الأمر ، ودون أن يكشفوا عمَّا وراء الأكمة من بواعث ومؤامرات !!.

والغريب العجيب أن كلا القوميتين المتعارضتين المتناقضتين : التركية والعربية اتجهتا في الهجوم على عدوٍّ واحد - في نظرهم - ألا وهو الخلافة الإسلامية المتمثلة في السلطان عبد الحميد ..

وفي الحقيقة أن كلًّا من دعاة القومية التركية ، ودعاة القومية العربية كانا مسخَّرين تسخيرًا بارعًا محكمًا من قبل الثلاثي الماكر الخبيث : اليهودية ، والماسونية ، وبريطانيا ؛ وبتعبير أدق كانا مسخَّرين من قبل اليهودية التي كانت تقوم إذ ذاك بأخطر دور على أوسع نطاق للانقضاض على فلسطين ، ولإقامة دولة إسرائيل !!.

وهكذا هبت الأعاصير في وجه الخلافة من كل جانب خدمة لليهودية التي تأبى إلا استيلاءً على فلسطين ، لتنفيذ مخططاتها التوسعية من الفرات إلى النيل !! ومن جراء هذه الأعاصير المدَّمرة على الخلافة ، انتابت الخلافة هزَّة .. ثم سرى فيها زلزال ، ثم حلَّ بها الدمار .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إذن لقد تكسَّر الطوق المتمثل بالخلافة الذي لم يستطع « قرّه صو » ولا « هرتزل » أن يفتحا في أيٍّ جانب منه أيَّ منفذ إلى فلسطين ، وتبعثرت كتلة الإسلام التي كانت قلعة حصينة أمام العدوِّ المتربِّص ، فجاءت اليهودية بعد هذا التبعثر تُدْلف إلى فلسطين - بعد الحرب العالمية الثانية - بخطى هادئة ثابتة ، وراحت بريطانيا تتسلَّل إلى مستعمراتها التي كانت تحلم فيها ، وجاءت فرنسا لتتناول قسمتها من الغنيمة .. كأن لسان حال هؤلاء جميعًا يقول للمسلمين : اهتفوا الآن بقومياتكم ما طاب لكم الهتاف مادام طوق الخلافة قد تكسَّر ، والشمل قد تبعثر ، والوحدة قد انفصمت ، وفلسطين قد ضاعت ، وإسرائيل قد قامت !!.

ونستنتج مما تقدم :

أن سلاح القومية الذي أشهره اليهود في هذا القرن كان أمضى سلاح في إلغاء الخلافة ، وتفتيت الوحدة الإسلامية ، وضياع فلسطين ، وإقامة دولة إسرائيل .

فهل يعي دعاة القومية في عصرنا اليوم هذه الحقيقة ؟

٢ - مخططهم في إفساد المجتمعات الإنسانية :

لقد أعلن اليهود في « بروتوكولاتهم » هذه الآراء الضالَّة ليفسدوا على الناس عقائدهم وعقولهم وأخلاقهم .. وتبنَّوا أفكار شخصيَّات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة الدينية ، وتحطيم مبادئ الأخلاق الفاضلة .

● إنهم يعلنون أنهم تبنَّوا آراء « فرويد » الذي يفسِّر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية ، والاسترسال في طريق الشهوات والملذات .

● وإنهم تبنَّوا آراء « كارل ماركس » الذي أفسد على الكثير عقيدتهم وضمائرهم وعقولهم .. وألغى الأديان ، وهاجم عقيدة الألوهية ، ولما قيل « لكارل ماركس » : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح ، أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح ..

● وتبنَّوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه ، ولو كان القتل ، أو الدماء ، أو التخريب .

● وتبنَّوا آراء « دارون » الذي أعلن عن نظرية التطور ، وأن الإنسان انحدر من قرد ، هذه النظرية نقضها العلم ، وألقاها في سلَّة المهملات [1] .

● بل وقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الإنسانية منهجًا أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ، ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما ، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .. وعن طريق المنظمات الماسونية التي أوجدوها ، وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور .. واستطاعوا بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون ، والملاهي ، ودور الدعارة ، وأشباهها .. كما أنهم استطاعوا بدهائهم وتلاعبهم أن يستولوا على كراسي علم النفس ، وعلم الاجتماع في جامعات أوروبة ، وأمريكة ، وفي أكثر جامعات الشرق .. وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم ، لقد نفذوا مخططهم الخبيث فاستولوا على ما يقرب من ٩٠ ٪ من هذه الكراسي ، لتتم لهم قيادتهم الفكرية ، والنفسية ، والفلسفية في العالم كله .

---

(١) ارجع إلى كتاب « شبهات وردود » للمؤلف ، ففيه الرد الكافي على نظرية « دارون » وبطلانها .

واليكم ما يقولونه في بروتوكولاتهم :

– يقولون في البروتوكول التاسع : « وقد تمكنًا من تضليل غير اليهود ، وإفسادهم خلقيًا ، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها » .

– ويقولون في البروتوكول الثالث عشر : « ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب ، وهلمَّ جرًا .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتَّى من كل أنواع المشروعات كالفن ، والرياضة ، وما إليها .. إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتمًا عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، حالما يفقد الشعب تدريجيًا نعمة التفكير المستقلٍّ بنفسه ، سيهتف جميعًا معنا ، لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلًا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسِّلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشكُّ في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين ذلك الوقت » .

– ومما جاء في هذه البروتوكولات ما يلي : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدَّس ، ويصبح همَّه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

– وجاء أيضًا : « يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأيُّ يوم مدَّت إلينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدَّد جيش المنتصرين للدين » .

٣ - مخططهم في محاربة الأديان :

لقد أعلن اليهود في مضابط مؤتمراتهم الماسونية هذه الآراء الضالة في محاربة الأديان غير اليهودية :

– جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة /١٩٢٢/ م قولهم : « ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهدًا في القضاء على

مظاهرها » .

– وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة /١٩٠٠/ م قولهم : « إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود » .

– وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة /١٩١٣/ م قولهم : « سوف نتخذ الإنسانية غاية من دون اللّٰه » .

– وجاء في مجلة أكاسيا الماسونية سنة /١٩٠٣/ م قولها : « إن النضال ضدَّ الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » ، « ستحل الماسونية محل الأديان ، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد » .

هذا بعض ما جاء في مضابط الماسونيين من آراء في محاربة الأديان ، وما تخفي صدورهم أكبر !!..

* * *

بعد الذي سردناه عن مكر اليهود وفسادهم .. في الأدوار الثلاثة الآنفة الذكر .. يتبيَّن لكل ذي عقل وبصيرة أنه لا توجد أمة في القديم ولا في الحديث حملت إلى العالم لواء المكر والخبث والفتنة والدهاء والفساد .. مثل الأمة اليهودية ؛ ولا يوجد عنصر من البشر على مدار التاريخ ، وتعاقب الأجيال طغى في الأرض ، وأفسد فيها ، وأوقع الفتن والحروب بين أممها .. مثل العنصر اليهودي !!.

فإذا كان الأمر كذلك وجب أن تتحد القوى ، وتتضافر الجهود في كل مكان في اقتلاع جرثومة المكر والفساد من الأرض ، وتطهير المجتمعات الإنسانية من الأخطبوط الجاثم على صدرها ، والسرطان المتغلغل في أحشائها .

ووجب على المسلمين في المشارق والمغارب أن يعرفوا على الأخص ماذا تهدف إليه اليهودية والماسونية من وراء هذه المخططات الماكرة والخبيثة ؟.

وقد تبين أنها تهدف إلى اغتصاب فلسطين ، وتأسيس دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل ، وإفساد المجتمعات الإسلامية ببريق المذاهب ، واستيراد المبادئ ، وظواهر الانحلال .. وما الدولة الإسرائيلية في فلسطين اليوم – كما سبق بيانه – إلا صنيعة هذه المخططات الماكرة التي استخدمت المحافل الماسونية وسيلة لغاياتها .

وما انتشار المبادئ الضالة ، والمذاهب الإباحية ، والأفكار الإلحادية .. في طول البلاد الإسلامية وعرضها إلا نتيجة أصابع المكر اليهودي ، والمكائد الماسونية ، والمخططات الاستعمارية .. التي مُنيت بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث !!.

حتى أولئك الذين صالحوا ، ووقَّعوا بأيديهم صكَّ الخيانة ، وعار الأبد .. فإنهم يعانون من مكر اليهود ونفاقهم وكيدهم .. الشيء الكثير !!.

فماذا نفعت صيحاتهم حينما أصرَّ اليهود على أن يقيموا في الأراضي التي يسكنها الفلسطينيون مستوطنات يهودية ؟.

وماذا نفعت احتجاجاتهم حينما رفض اليهود معاهدة « كامب ديفيد » التي تنص بصراحة على وجوب إعطاء الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا يقررون فيه مصيرهم ؟ ألم يصرِّح « بيغن » أن أرض فلسطين أرض أجدادهم الإسرائيليين منذ القدم ، ولهم الحق في إنشاء المستوطنات في أي بقعة شاءوا .

ألم يعلن على أسماع الدنيا أنه لا يسمح بشكل من الأشكال بإعطاء حكم ذاتي ، أو إقامة دولة فلسطينية للفلسطينيين مهما عظمت التضحيات ؟.

أليس في هذه التصريحات تحدٍّ سافر للذين أعطوا الذلة طائعين ، ووقَّعوا بأيديهم الآثمة الصلح مع إسرائيل ؟.

وما السلام الذي تنادي به إسرائيل إلا ذريعة للوصول إلى أهدافها في امتداد سلطان نفوذها من الفرات إلى النيل ؟!!.

يا ليت القائمين على أمور البلاد يعرفون هذا ، ويعوه جيدًا قبل أن يوقعوا في صفحات تاريخهم صكَّ الخيانة ، وغار الأبد !!.

فاليهود إذن هم اليهود .. لم يتغير من طبيعة حقدهم ومكرهم وإجرامهم شيء سواء وُجدوا في الماضي أم وُجدوا في الحاضر ؟.

فإذا لم يؤخذوا بالشدَّة ، ويُجْتثُّوا من الأرض .. فإنهم يجرُّون على الإنسانية بشكل عام ، وعلى المسلمين بشكل خاص .. الويلات ، والدواهي ، والمصائب ، وعظائم الأمور !!.

فعلى الذين يريدون أن يحلوا مشكلة فلسطين ، وأن يحرّروا المسجد الأقصى ، وأن يعيدوا للفلسطينيين حقوقهم المغتصبة ، وأراضيهم السليبة .. فعليهم أن يعرفوا

حقيقة أن اليهود في مكرهم وخبثهم وفسادهم .. هم اليهود ، لم يتغير من طبيعتهم شيء في كل زمان ومكان مهما تبجَّحوا بالسلام ، ونادوا بالتعاون والتفاهم والوئام .. ولكن ما هو الحل لاجتثاثهم ، واستئصال شأفتهم ، والانتصار عليهم ؟.

الحلُّ هو ما تقرؤه - أخي القارئ - في الصفحات القادمة إن شاء اللَّه .

* * *

الفصل الثاني

منهج الإسلام في التحرير [(١)]

إذا كان هذا هو حال اليهود في مكرهم وخبثهم وفسادهم على مدار التاريخ ، وكر العصور .. وإذا كان هذا هو حال فلسطين في اغتصاب اليهود لها ، وسيطرتهم عليها ، وهي جزء لا يتجزّأ من الوطن الإسلامي الكبير .

فما هو واجب المسلمين في المشارق والمغارب تجاه الأرض المقدسة ؟ وما هو موقفهم من اليهود بعد أن اغتصبوا أرض فلسطين ، واستباحوا حرمة المسجد الأقصى أُولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى محمّد ﷺ ؟.

لاشك أن واجبهم الجهاد ، وموقفهم الحرب حتى يحرروا آخر شبر من حثالات يهود ، شذّاذ الآفاق ، وصعاليك الدنيا ، وسرطان المكر ، وأخطبوط الفساد ، وثعالب النفاق ، وذئاب الغدر .. إلى يوم البعث والدين !!.

ولكن ما هو منهج الإسلام في التحرير ؟ ما هي طريقته في الوصول إلى النصر ؟ هذا ما سنبيّنه في هذا الفصل ، وعلى الله قصد السبيل :

يقول الله تعالى في سورة الحج : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [(٢)] .

ويقول في سورة النور : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [(٣)] .

ويقول في سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [(٤)] .

ويقول في سورة آل عمران : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سبق أن عالجت في كتاب « صلاح الدين الأيوبي » مبحث « القضية الفلسطينية » في فصلي التاسع والعاشر منه ، فأثبت في هذا الكتاب ما كتبته بالأمس في الكتاب المذكور مع زيادات وتنظيمات .. أرجو أن يجد فيها القارئ الكريم الفائدة المرجوة إن شاء الله .

(٢) سورة الحج آية : ٤٠ – ٤١ .
(٣) سورة النور آية : ٥٥ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٦٠ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

ويقول في سورة البقرة : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (١) .

من هذه الآيات التي تنطق بالحق نستوحي المنهج في تحرير الأرض المقدسة ، ونستهدي الطريقة التي توصلنا إلى النصر المظفر .

ولابد لي عند تبيان المنهج الموصل إلى النصر أن أستشهد من سيرة البطل صلاح الدين رحمه الله بيعض مواقفه الخالدة ، لنستلهم منها العظات ، ونأخذ من عرضها العبر ؛ لأن أمتنا اليوم ضلَّت طريق القدوة ، وعليها أن تعرف أصحابها ، وأن صلاح الدين واحد من الأعلام الخالدين المقتدى بهم على مرِّ العصور ، وهو الذي مرَّ بتجربة النصر حين نصره الله عز وجل في معركة حطين الحاسمة على الصليبيين !!.

وهذا المنهج يتركز في النقاط التالية :

١ - تقوى الله والاحتراس من المعاصي :

إن تقوى الله ، والخشية منه ، وحسن الظنّ به ، والالتجاء إليه ، واجتناب المحارم ، وتنفيذ الأوامر .. هي أول مقدِّمات النصر ، وإرهاصاته المبشرة ؛ لأن هذه المعاني الروحية ، والقوى المعنوية إن تأصلت في الجيش المسلم المحارب جعلت من هذا الجيش قوة هائلة لا تعرف الضعف والخور ، وطورًا راسخًا لا يعرف التقهقر والتراجع ..

والله سبحانه لن يتخلَّى عن هذا الجيش المؤمن بالله ، الواثق به ، المعتمد عليه ، المنفِّذ لأحكامه ، المجتنب لمحارمه .. مهما كانت حراجة الموقف ، ومهما تألَّب العدوُّ على أمة الإسلام وتآمر ؛ فإذا أعوزت الأمة المجاهدة المعونات المادية ، والأسباب الأرضية ؛ فإن الله تعالى يمدّها بمدد السماء ، ويقذف في قلوب أعدائها الرعب ، وينصرها من حيث لم تحتسب ؛ لأنه القائل في سورة الأنفال : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢) .

والقائل في السورة نفسها : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال آية : ١٢ - ١٣ .

ﵟالنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌﵞ [1] .

وها هو ذا صلاح الدين قبل معركة حطين قمع الفواحش والمنكرات في المجتمع المصري أيام تقلُّده الوزارة في مصر ، ولا سيما في المواسم والأعياد كعيد النيروز .

يقول المقريزي في خططه : (إذ كانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواحش صريحة في يومه ، ويركب فيه أمير موسوم بأمير النيروز ، ومعه جمع كثير ... ويتجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤ حيث يشاهدهم الخليفة (الفاطمي) وبأيديهم الملاهي ، وترتفع الأصوات ، وتشرب الخمور في الطرقات ، ويتراش الناس بالماء ، وبالماء والخمر ، وبالماء ممزوجًا بالقاذورات ، فإن غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ، ويفسد ثيابه ، ويستخف بحرمته ، فإما فدى نفسه ، وإما فُضِحَ ..) .

أما فيما يتعلق بتقواه وسلوكه العبادي ، وخشيته من اللَّه ﷻ ؛ فإن مرافقه القاضي « بهاء الدين » يحدثنا الكثير عن جانب التقوى ، والخشية ، والعبادة التي شاهدها منه في حلِّه وترحاله ، يقول القاضي : (وكان ﵀ خاشع القلب ، غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن خشع قلبه ، ودمعت عينه ، وكان ﵀ كثير التعظيم لشعائر الدين ؛ وكان مبغضًا للفلاسفة والمعطِّلة ، ومن يعاند الشريعة ، وإذا سمع عن معاند ملحد في مملكته كان يأمر بقتله ..) .

ويقول القاضي ابن شدَّاد : (كان إذا سمع أن العدوَّ قد داهم المسلمين خرَّ إلى الأرض ساجدًا ، داعيًا اللَّه ﷻ بهذا الدعاء : « إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل) .

ويقول ابن شداد أيضًا : (ورأيته ساجدًا ، ودموعه تتقاطر على شيبته ، ثم على سجَّادته ولا أسمع ما يقول ، ولم يَنْقَضِ ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء .. وكان أبدًا يقصد بوقعاته الجُمع سيَّما أوقات صلاة الجمعة ؛ تبركًا بدعاء الخطباء على المنابر ، فربما كانت أقرب للإجابة ..) .

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضتها العرب ضد إسرائيل ؟

كم سمعنا من محاربين في الصفوف الأمامية كانوا يحتسون الخمرة ، ويرفِّه لهم

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٠ .

بالمومسات والمغنيات ، والعدوُّ يرقب أوضاعهم ، ويتعرَّف على انهيارهم الروحي ، وميوعتهم الخلقية ؟.

وكم سمعنا من بعض الإذاعات العربية في اللحظات التي كانت فيها الحرب مستمرة ، والقتال على أشدِّه ، كانت الصيحات تلهب حماس المحاربين بمثل هذه الكلمات : قاتلوا واضربوا ، واسحقوا العدو .. إن الفنَّانين ، والفنَّانات من ورائكم ، إن فلانة المطربة معكم ، والأخرى الممثلة بجانبكم .. أما تقوى اللّٰه ، أما استحضار الغوث الإلهي فلم يكن في الحسبانِ ؟!!.

وكم سمعنا عن مجلَّات رسميَّة كانت تروِّج للإلحاد ، وتشيع الكفر والضلال قبل حرب /١٩٦٧/ بشهر دون حياء ولا خجل حتى بلغت الوقاحة في كاتب ملحد أن يكتب مقالًا في مجلة مسؤولة عنوانه : « **الطريق لخلق إنساننا العربي الجديد** » ..

فمِمَّا جاء في هذا المقال : (استنجدت أمة العرب بالإله .. فتشت عن القيم القديمة في الإسلام والمسيحية ، استعانت بالنظام الإقطاعي والرأسمالية وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى ، كل ذلك لم يجد فتيلًا) .

ويتم الكتاب حديثه فيقول : (.. والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب ، وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد) .

والإنسان الذي يريد أن يخلقه هذا المجرم الملحد هو الإنسان : (**الذي يؤمن : أن اللّٰه والأديان والإقطاع ، والرأسمالية ، والاستعمار ، والمتخمين ، وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ، ليست إلا دُمىً محنَّطة في متاحف التاريخ ..!!**) .

ومما يؤسف له ، ويترك في القلب لوعة وحسرة أن تنشر مجلة « المعلم العربي » [1] قصيدة لشاعر ملحد باع دينه وشرفه وضميره للشيطان ، بل يعلنها إلحادية سافرة ، وإباحية فاجرة ، ومبادئ ضالة كافرة ، فمما جاء في هذه القصيدة :

جاءت تسير بلا درب ولا قدم	هذي فلسطين يُحلي ذكرها نغمي
تسائل القوم هل صلُّوا وهل عبدوا	إني كفرتُ بهم حقدًا وبالقيم
وما صلاة لهم تسمو بموكبها	واللّٰه مات مع الأوثان من قدم

(١) مجلة سورية ، كان نشر القصيدة عام /١٩٦٥/ في عددها الخامس ، السنة الثانية عشرة عن عدد تشرين الثاني ، كانون الأول ص : ٥٤ عنوان القصيدة : « نشيد العروبة الضائعة » لصالح عضيمة .

إذا أَلَمَّ بهم ضيم فأرَّقهم توجهوا لانتجاع الغيب والحكم
يلوذ بالغيب من هانت شمائله ويركب الهول قلب لاذ بالشِّيم

ثم يقول لعنة اللَّه عليه :

تكشَّف الجمع عن صبر ومعذرة إني كفرتُ بربِّ الصبر من حَكَم

ومن العجيب أن تنشر هذه القصدة مجلة المعلم العربي التي يدَّعي محرِّرها أن هذه المجلة هي المجلَّة التربوية الوحيدة التي أنشئت لأجل غرس بذور الإيمان والأخلاق والعلم في نفوس المعلمين والطلاب ، وإذ تطالعنا بهذه القصيدة الملحدة التي يتقاطر منها الحقد واللؤم والخبث .. على عقائد الأمة ، ورسالات الأنبياء !!.

فهل يعقل – والمحاربون على هذه الحال – أن ينالوا من عدوِّهم نيلًا ، أو ينصرهم اللَّه في معركة المصير ؟.

أليس حال أولئك المتحلِّلين المحاربين أشبه ما تكون بحال أبي جهل لعنه اللَّه حين أرسل إليه أبو سفيان أن ارجع بالجيش ، فإن عيرنا قد نجت ، فما كان من جواب أبي جهل إلا أن قال : (واللَّه لا نرجع حتى نَرِدَ بدرًا ، فنقيم عليه ثلاثًا ، فنطعم الطعام ، وننحر الجُزر ، ونشرب الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتتحدث العرب بمسيرنا ، فما يزال يهابوننا أبد الدهر !!) .

ألم يضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ المنهج الواضح ، والتخطيط الكامل ، لكسب المعركة ، والانتصار على العدوِّ ؟.

ألم يقل لقائده « سعد بن أبي وقاص » ﷺ حين وجهه لفتح فارس : (أما بعد ، فإني آمرك ومن معك بتقوى اللَّه على كل حال ، فإن تقوى اللَّه أفضل العدَّة على العدوِّ ، وأقوى المكيدة في الحرب ..

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسًا من المعاصي منكم من عدوِّكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوِّهم للَّه ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدَّتنا ليست كعدَّتهم ، فإن استوينا في المعصية ؛ كان لهم الفضل علينا في القوّة ، وإلَّا ننصر عليهم بفضلنا فلم تغلبهم قوتنا) .

فهذا بالنسبة لمن يقترف المعصية قبل الحرب وفي الحرب ، فكيف بمن ينكر وجود

الخالق ، ويجهر بالدعوة إلى الإلحاد ويجحد مبادئ الدين والأخلاق ؟.

فهذه حقيقة هامة ينبغي أن تعيها الأمة الإسلامية بشكل عام ، والدول العربية بشكل خاص .. إن أرادوا أن يصلوا إلى قمة الكرامة ، وذروة النصر .

وصدق الله العظيم القائل :

- ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

- ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢) .

إذن لا نصر إلا بتقوى الله ، والرجوع إلى دينه ، والامتثال لشرعه ، والابتعاد عن معاصيه .

٢ ـ الاهتمام البالغ والإعداد الكامل لقضيَّة التحرير :

من الأمور التي أجمع عليها المؤرخون عن صلاح الدين أن اهتمامه لقضية التحرير كان اهتمامًا بالغًا ملك عليه وقته وراحته ، واستحوذ على ما تتطلبه النفس من أشواق ، وما تنشده من اطمئنان واستقرار .

يقول مرافقه القاضي « بهاء الدين » في وصف حال « صلاح الدين » في استنفار عزائم المسلمين ، واستنهاض هممهم للجهاد في محاربة الصليبيين : (كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال .. وهو كالوالدة الثكلى ، يجول بفرسه من طلب إلى طلب ، ويحثُّ الناس على الجهاد ، ويطوف بين الأطلاب بنفسه وينادي : يا للإسلام ! ، وعيناه تذرفان بالدموع ؛ ولكن نظر إلى عكًا ، وما حلَّ بها من البلاء ، وما يجري على ساكنيها من المصاب العظيم ، اشتدَّ في الزحف ، والحثُّ على القتال ؛ ولم يطعم في ذلك اليوم طعامًا البتَّة ، وإنما أقداح دواء كان يشير بها الطبيب) .

ويقول أيضًا : (.. وكان حديث الجهاد يشغله دائمًا ، ويستولي على قلبه وجوانحه استيلاءً عظيمًا بحيث لم يكن له حديث إلا عنه ، ولم يكن له نظر إلا في وسائله ، أو اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا إلى مَنْ يذكره ويحثُّ عليه ..) .

ومن أجل الجهاد وإعلاء كلمة الله هجر رحمه الله أهله وولده ، وظلَّ بعيدًا عنهم فترة طويلة من عمر الجهاد حتى يخلِّص الأرض المقدَّسة من براثن الصليبيَّة الحاقدة ،

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٢) سورة محمد آية : ٧ .

ويطهر المسجد الأقصى من الغزاة المتوحِّشين !!.

أما اهتمامه ﷺ بالاستعداد الحربي ، وتهيئة أسباب القوة المادية .. فلا تقلُّ عن اهتمامه بالإعداد الروحي والمعنوي سواء بسواء .

فمن مظاهر هذا الاستعداد [1] :

– إنشاؤه ديوانًا للجيش ، وكان لصاحب هذا الديوان اختصاصات واسعة .. منها :

أن ينتقل أثناء المعركة من صفٍّ إلى صفٍّ للتأكد من سلامة الخيل ، وصلاحية السلاح ، وعدد الجنود ، واستعراض ملابسهم وزينتهم ، وإنهم جميعًا في حال مرضٍ .

– اهتمامه بصناعة الأسلحة ، وبناء السُّفن ، وعمل المفرقعات ، وتركيب الألغام والمجانيق .. وما إليها من أدوات القتال .

– عنايته بالأسطول ، فأنشأ له ديوانًا خاصًّا به يختصُّ بموارده ، وصرفه ، وإدارة شؤون الأسطول ؛ وهو الذي أطلق على رئيس الأسطول « أمير البحر » أو « أمير الماء » .

وبعد هذا الاهتمام البالغ ، والإعداد الكامل .. يكرُّ البطل « صلاح الدين » على العدوِّ بإيمان راسخ ، وعزيمة صادقة فإذا هو مندحر منهزم لا يلوي على شيء .

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضتها العرب ضدَّ إسرائيل ؟

فإن الاهتمام للقضية في هذه الحروب كان بالقول لا بالفعل .

كم سمعنا عن خطب رنانة ، وكلمات حماسية ملتهبة كانت تلقى أمام الجمهور المحتشد لإلهاب عواطفه ، واستثارة مشاعره ؟ ، والجمهور الساذج البسيط كان يقابل هذه الكلمات بالتصفيق الحادِّ ، والهتاف المدوِّي حماسًا وتأثرًا دون أن يعي تهريج الخطباء وتمثيلهم ، ودون أن يدرك ضخامة القضية ومسؤوليتها !!.

وكل يدَّعي وصلا بليلى   وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

– ولو كان الحكام آنئذٍ على المستوى اللائق من الاهتمام للقضية ، والجهاد في سبيلها .. لذرفت عيونهم ، وتحركت مشاعرهم للنساء اللواتي يصحن صباح مساء :

---

(١) ارجع إلى كتاب « صلاح الدين » لمؤلفه « جمال الدين الرمادي » ص : ٥٧ .

وا إسلاماه ، وا شرفاه ، وا عرباه !!.

ولآلوا على أنفسهم أن ينتصروا للعرض ، أن يثوروا للشرف ، أن يخلِّصوا النساء المسلمات من انتهاكات يهود ، وأسْر إسرائيل .. مهما غلت التضحيات ، وعظمت التكاليف .. ولكن كان يصدق عليهم قول القائل :

ربَّ وا معتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتَّم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

– ولو كان الحكام وقتئذ على المستوى اللائق من الاهتمام للقضية .. لأغلقوا – على الأقل – دور الفجور ، وحانات الخمور ، وصالات الرقص .. كما فعل « ديغول » في أعقاب تسلُّمه السلطة إبَّان الحرب العالمية الثانية [1] ، ولمنعوا من إذاعاتهم ، وتلفازهم الأغاني الخليعة ، والمسرحيَّات الماجنة ، والرقص الصفيق .

– ولو كان الحكام يومئذٍ على المستوى اللائق من الاهتمام للقضية .. لأعدُّوا الشباب والشابات إعدادًا كاملًا من ناحية العقيدة والخلق .. ولمنعوا من المجتمع كل مظهر من مظاهر التخنُّث والميوعة والانحلال ..

بل كانت القضية الفلسطينية – ويا للأسف – تسير في كل حرب مع اليهود من سيئ إلى أسوأ ، وكلما انتهى العرب من نكبة وقعوا في نكبة أشدَّ وأعظم .. وكل يوم يشرق على الدنيا شمسه هو من صالح إسرائيل امتدادًا واتساعًا ، وقوة وتمكينًا . لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل في غضون ثلث قرن من الزمان لم يكونوا على مستوى القضية ، والاستشعار بالمسؤولية ، والاهتمام بالتحرير .

ثم ماذا عن الإعداد المادي ؟

أين البلد العربي أو الإسلامي الذي يقوم على تصميم المدافع والقنابل ، وإعداد المصفَّحات والدبابات ، وتصنيع الصواريخ والطائرات ؟

فهو في الحقيقة الآن غير موجود ، وفي الواقع ونفس الأمر غير متحقِّق .

إذن فالسلاح – كما هو معلوم – مستورد ، والدولة التي تبيع السلاح تشترط ،

---

(١) فإنه استدعى رئيس شرطة « باريس » ، وقال له : « أغلق لي هذه المواخير ، وأوكار الخنافس في عاصمتي » ، قال « ديغول » هذا ؛ لأن الكتاب في فرنسا وعلى رأسهم « أندريا مورا » قالوا : « من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده » .

والشروط على الغالب تصطدم مع سيادة الأمة وعقيدتها ، ومصالحها الاقتصادية .
فأمريكا حين تعطينا السلاح تشترط على العرب إنشاء قواعد عسكرية لها في أراضيهم ، أو افتتاح سوق اقتصادية لتجارتها في بلادهم ، أو السعي إلى مصالحة إسرائيل لإنهاء خصوماتهم وحروبهم .

وروسيا حين تريد أن تعطينا السلاح تشترط على العرب في أن يمارس عملاؤها في الداخل حرية الدعوة إلى مبادئ كارل ماركس الإلحادية في أرض الإسلام .. عدا عمّا تريد أن تحققه لنفسها من قواعد عسكرية ، ومصالح اقتصادية ، ومنافع مادّية .

إذن فكيف تتحقق للدول العربية سيادة مطلقة ، أو نصر مؤزر ، وهذه حالها من الضعف ، وهذا واقعها من التخلف ؟.

علمًا أن الإسلام أوجب على الأمة الإسلامية الفرض الكفائي في كل ما تحتاجه حاجة ضرورية في الحياة ؛ وباعتبار أن تأمين السلاح من الحاجات الضرورية وجب على المسلمين في كل مكان أن يصنّعوه في بلادهم ، وأن يوجدوه على أرضهم ..

وإلّا .. فإنهم آثمون ، وعن تقصيرهم وتساهلهم مسؤولون !!.

أي شيء يمنعهم من إيجاد المعامل التي تنتج السلاح ؟.

وماذا ينقصهم في أن يسبقوا الأمم في تهيئة أسباب القوة ؟.

المال كثير ، والبترول متوفّر ، والمعادن مبتذلة ، والمختصون موجودون ، واستقدام الخبراء من أجانب وغير أجانب ممكن ..

فلماذا نعطي الدنيّة من ديننا ؟ والله سبحانه يقول : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [1] .

ولماذا نرضى بالقصور والتوكل ؟ والله تعالى يقرر : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [2] .

فهل يعقل – والمسلمون على هذه الحال من الضعف والتقاعس – أن ينالوا من عدوّهم نيلًا ، أو ينصرهم الله في معركة المصير ؟

إذن فلا عزّة ولا نصر إلا بالاهتمام البالغ والإعداد الكامل لقضية التحرير .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٠ .
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٥ .

٣ - القتال يجب أن يكون من أجل إعلاء كلمة الله :

من المقرَّر في الشريعة الإسلامية أن المجاهد قبل أن يخوض معارك الجهاد ، ويقاتل أعداء الإسلام ، عليه قبل كل شيء أن يحرِّر النية من كل قتال لأجل المغانم أو السمعة أو الحمية أو الرياء .. حتى يكون قتاله من أجل إعلاء كلمة الله ، وجهاده خالصًا لوجه الله الكريم .. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [١] .

ولما سئل رسول الله ﷺ - فيما روى الشيخان - عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً .. أيهم في سبيل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » [٢] .

انطلاقًا من مبدأ القتال لإعلاء كلمة الله خاض السلطان صلاح الدين حروبه مع الصليبيين ، وحرَّر نيته من أجل أن يقاتل كلَّ من يكفر بالله أو يموت شهيدًا ..

فقد ذكر القاضي « بهاء الدين » في كتابه « النوادر السلطانية » حكاية يؤخذ من مغزاها ومعناها أن قتال صلاح الدين للفرنج كان في سبيل الله وإعلاء كلمته .. (قال السلطان صلاح الدين للقاضي : « أما أحكي لك شيئًا في نفسي ، إنه متى يسَّر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمت البلاد ، وأوصيت ، وودَّعت وركبت هذا البحر إلى جزائره ، وأتبعتُهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت » فقال القاضي : « ما ينبغي أن يخاطر المولى بنفسه وبعسكره في ركوب البحر ، والعسكر هو سور الإسلام ومنعته » ، فقال صلاح الدين : « أنا أستفتيك ما أشرف الميتتين عندك ؟ » فقلت : « الموت في سبيل الله » ، قال صلاح الدين : « غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتتين !! ») .

وسبق أن أشرنا إلى استغاثته ودعائه حينما كان يقارع الصليبيين وينازلهم .. فمن دعائه رحمه الله أثناء المعركة : (إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضيَّة في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل ..) .

---

(١) سورة النساء آية : ٧٦ .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤٥٨) ومسلم في الإمارة (١٤٩) والترمذي في السنن (١٦٤٦) وأحمد في مسنده ٣٩٢/٤ .

وسبق أن ذكرنا أنه كان ﷺ خاشع القلب ، غزير الدمعة ، معظمًا لشعائر الدين ، مبغضًا للملاحدة ، مستأصلًا لهم .

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضها العرب ضدَّ إسرائيل ؟.

وكم سمعنا عن مسؤولين ورؤساء حين كانوا يخطبون ، ويحضُّون الأمة على القتال ، ويستنهضون همتها للحرب ، كانوا لا يذكرون اسم اللّٰه في كلماتهم ، ولا تسمع حسًا ولا ذكرًا للإسلام في أقوالهم وتصريحاتهم ، وإنما يعلنونها جاهلية سافرة ، وعصبية جائرة في حضِّ الناس على القتال ، واستنهاض هممهم للحرب .

- ففي عام /١٩٤٨/ كانت الدعوة إلى القتال باسم الوطنية .
- وفي عام /١٩٥٦/ كانت الدعوة إلى القتال باسم القومية .
- وفي عام /١٩٦٧/ كانت الدعوة إلى القتال باسم المبادئ الاشتراكية .
- وفي عام /١٩٧٣/ كانت الدعوة إلى القتال باسم التصدي والصمود .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (١) .

ولسنا ندري ما تطالعنا به الأيام غدًا من مسميات ضالة ، وشعارات كافرة .. لا يقصد منها إلا عزل الإسلام عن كل مقاومة للعدو ، وعن كل تحرير لأرض إسلامية مغتصبة .

وأظلم من ذلك انبعاث الأقلام المأجورة - في إبان حربنا لإسرائيل - تناوش الدين ، وتتطاول على ذات اللّٰه والإسلام وقدسية الرسل .

فمن جملة ما قرأناه لأحد العملاء الملاحدة التقدميين (٢) .. في كتاب أسماه « من النكسة إلى الثورة » قوله : [إن العالم سيجد نجاته عن طريق المتمردين ، فبدونهم ستلقى حضارتنا وثقافتنا وكل ما نحب نهايته .. فهؤلاء المتمردون هم ملح الأرض ، ومسؤولون عن اللّٰه ، لأنني مقتنع بأنه لم يوجد بعد ، وإن كان علينا أن نخلقه] .

وسبق أن ذكرنا ما قاله التقدمي الملحد العميل في مجلة الشعب : « .. أن اللّٰه ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمال ، والاستعمار ، والمتخمين ، وكل القيم التي سادت

---

(١) سورة النجم آية : ٢٣ .
(٢) اسمه نديم البيطار .

المجتمع السابق ، ليست إلا دُمى محنطة في متاحف التاريخ » [١] .

وسبق أن بينا ما نشرته مجلة المعلم العربي السورية عن لسان شاعر قومي تقدمي ملحد .. كيف جاهر بإلحاده ، وطعن القدسية الإلهية في الصميم ؟.

فهل ننتصر بهؤلاء التقدميين الثوريين الملحدين المتمردين على اللّٰه وعلى شرائعه ، وعلى رسالاته ، وأنبيائه ، أم نسير من نكبة إلى نكبات ، ومن كارثة إلى كوارث ..؟!!.

تذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب ﷺ فتح مصر ، كتب إلى قائده عمرو بن العاص يقول : [أما بعد : فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوُّكم ، وإن اللّٰه تعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نيَّاتهم] .

فإذا كان النصر قد استبطأ في عهد عمر لما أحدثوا في أنفسهم من حبِّ الدنيا .. فكيف يتحقق نصر على أيدي قوم لا يرجون للّٰه وقارًا ، ويتمردون على اللّٰه ، والإسلام ، والقيم .. ؟

هل يمكن أن يكون هؤلاء يومًا جنود فداء ، وأبطال معركة ؟.

لن تتحرر فلسطين بهؤلاء الملحدين الأقزام ..

لن تتحرر فلسطين ، وتزول إسرائيل بجاحدي الأديان ومنكري الخالق سبحانه ..

لن تتحرر فلسطين بالعابثين المتحلّلين من عشاق الفجور ، ومدمني الخمور ..

لن تتحرر فلسطين بالمقاتلين باسم مبادئ مستوردة ، وشعارات كافرة ..

ولا يعقل – والمسلمون وهم على هذه الحال من القتال لأجل العصبيات والشعارات – أن ينالوا من عدوِّهم نيلًا ، أو ينصرهم اللّٰه في معركة المصير ؟.

إذن فالقتال من أجل إعلاء كلمة اللّٰه ، ودخول المعركة باسم الإسلام هو العامل الرئيسي في تحقيق النصر .

٤ - جعل القضية الفلسطينية قضية الإسلام والمسلمين :

من الأمور التي قررتها الشريعة الإسلامية الغراء : أن الكفار إذا اغتصبوا أرضًا للمسلمين في أية جهة كانت ، وجب على جميع المسلمين في الأقطار الإسلامية أن

---

(١) القائل : إبراهيم خلاص .

يقوموا قومة رجل واحد ، لتخليص الأرض المغتصبة من براثن الأعداء ، واستيلاء الكفار ، مهما كلفهم من ثمن .. ومهما عظمت التضحيات .. وإذا قصروا في هذا الواجب فإن المسؤولية عند اللّه جسيمة ، والإثم - في نظر الإسلام - كبير ..

وصدق اللّه العظيم القائل في محكم تنزيله :

- ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ (١) .

- ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

- ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

فانطلاقًا من فكرة الاستنصار هذه جمع السلطان صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جموع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم تحت لواء الوحدة الإسلامية ، ليقفوا وقفة الرجل الواحد أمام الغزو الصليبي ، أمام القوة الباغية الظالمة التي دنّست مهد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وانتهكت مسرى محمد ﷺ بوحشية فاجرة ، وهمجية وضيعة وتسلط لئيم ..

وكيف لا ؟ .. يهبُّ المسلمون هبّة الرجل الواحد وقد جعلهم الإسلام إخوة متحابين متراحمين متعاطفين كالجسم الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وكيف لا ؟ .. وقد جمعهم الإسلام تحت راية واحدة على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

وكيف لا ؟ .. وهم أبناء عقيدة واحدة يجمعهم الدين ، ويوحدهم القرآن ، ويؤلف بينهم الإسلام ، وترفرف فوق هاماتهم المرفوعة راية التوحيد .

وكيف لا ؟ .. وكل شبر من الأرض يذكر فيه اسم اللّه هو أرضهم ، وكل مكان يرفرف عليه راية الإسلام هو مكانهم .

وما أحسن ما قاله بعضهم :

---

(١) سورة الأنفال آية : ٧٢ .
(٢) سورة التوبة آية : ٤١ .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٩ .

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنًا الشام فيه ووادي النيل سيّان

وكلما ذكر اسم الله في بلدٍ عددتُ أرجاءه من لبِّ أوطاني

وكيف لا ؟ .. وكلٌّ واحد ممن انخرط في جيش القائد صلاح الدين كان يتمنّى أن ينال الشهادة في سبيل الله ، كان يهتف : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [1] ، كان يردِّد : « ركضًا إلى الله بغير زاد » .

حتى إذا خرَّ صريعًا ، ونال الشهادة في سبيل الله ، تمثل بقول القائل :

« فزتُ وربِّ الكعبة » [2] .

ولست أُبالي حين أقتل مسلمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي [3]

– « هذا هو يوم الفرح الأكبر » .

وهكذا انخرط في جيش صلاح الدين كل مسلم آمن بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبالقرآن إمامًا – وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا .. بغضِّ النظر عن جنسه أو لونه أو لغته ؛ لأن القضية التي من أجلها يجاهدون ، وفي سبيلها يستبسلون ويستشهدون هي قضية الإسلام الأولى ، وقضية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها !!.

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضها العرب ضد إسرائيل ؟

وكم سمعنا من إذاعات ، وقرأنا في صحف . يروِّج مذيعوها ، وكتَّابها الدعوة إلى القتال باسم العروبة والقومية والعربية .. وأن العرب وحدهم هم المسؤولون فقط عن محاربة اليهود ، وتحرير فلسطين !!.

أليس في هذه الكلمات والتصريحات .. إغفال وتجاهل لمئات الملايين من المسلمين المنتشرين في العالم الإسلامي هنا وهناك ، وكلهم مؤمنون بأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى محمد ﷺ ، بل يعتبرون أن القتال في سبيل تحرير أي أرض إسلامية من أعدائها هو أعظم الجهاد ، وأسمى الغايات ؟.

إن قتال الأعداء باسم القومية ، أو باسم العروبة ..

---

(١) سورة طه آية : ٨٤ .

(٢) أخرجه : البخاري في الجهاد (٢٨٠١) ومسلم في الإمارة (١٤٧) وأحمد في مسنده ١٣٧/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠٤٥) .

خيانة للإسلام

وخيانة للمسلمين

وخيانة للقضية الفلسطينية

● **أمّا أنها خيانة للإسلام** فلأن المنادين إلى الجهاد باسم القومية ، أو العروبة .. عزلوا الإسلام عن القتال باسمه ، والجهاد في سبيله ، والانضواء تحت رايته ..

● **أمّا أنها خيانة للمسلمين** فلأن المنادين إلى الجهاد باسم القومية ، أو باسم العروبة .. قد اعتبروا رابطة الإخاء هي رابطة العروبة ؛ وآصرة العقيدة هي آصرة القومية ..

والله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وهل يفهم من هاتين الآيتين الكريمتين إلا أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المسلمين ، وتوحد بينهم ، وتجعلهم عباد الله إخوانًا .. هي رابطة العقيدة الإيمانية ، وآصرة الأخوة الإسلامية .. ؟

هذه الرابطة من العقيدة ، والأخوة في الله .. اعتبرها الإسلام فوق رابطة الدم ، والجنس ، واللون ، واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة .. لقوله تبارك وتعالى في سورة التوبة : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٣) .

فهل رأيتم في تاريخ الإسلام خيانة للمسلمين أعظم من خيانة من يفصلهم عن عقيدتهم ، وتاريخهم ، وقرآنهم ، وإسلامهم ، وأبناء ملتهم .. ؟!.

وهل سمعتم في كل المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم عبر التاريخ جحودًا ونكرانًا لإخوة الإسلام مثل هذا الجحود والنكران ؟!.

● **أما أنها خيانة للقضية الفلسطينية** : فلأن المنادين إلى الجهاد باسم القومية ، أو باسم العروبة .. وقفوا من المسلمين غير العرب موقف المجافاة والإعراض ، لإشعارهم

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .
(٣) سورة التوبة آية : ٢٤ .

زورًا وبهتانًا أن القضية الفلسطينية هي قضية العرب فقط ، وليست قضية المسلمين !!.

فهل يعقل – بعد ردود الفعل هذه – أن يتحفز المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لنصرة فلسطين ، والجهاد من أجل الأرض المقدسة بعد أن قطع مروّجو الدعوة إلى القومية العربية كل آصرة تربطهم بالشعوب الإسلامية ، وقطعوا كل وشيجة تنسبهم إلى عقيدة الإسلام ؟!!.

وهل عرف المسلمون في تاريخهم المجيد ، وفي سيرة آبائهم الأولين نسبًا غير نسب الإسلام ، ورابطة غير رابطة الإيمان ؟!!.

دَعِيُّ القَوْمِ ينصر مُدَّعِيهِ ... لِيُلْحِقَهُ بِذِي الحَسَبِ الصَّمِيمِ

أَبِي الإِسْلَامُ لا أبَ لي سِوَاهُ ... إذا افْتَخَرُوا بقَيْسٍ أو تَمِيمِ

* * *

يقول الشيخ « محمد نمر الخطيب » في كتابه « الإيمان طريقنا إلى النصر » ص (٨٢) [لقد دأب زعماء العرب من سنوات طويلة ، ليجعلوا قضية فلسطين قضية عربية خالصة ، ولست أدري لم يفعلون ذلك ، وقد رأينا الأمم تسعى لاكتساب الأصدقاء ، وتستجدي الأنصار تأييدًا لها ؟

غاية ما أستطيع أن أفهمه من صنع زعماء العرب هذا ، أنهم يريدون أن يسترضوا مواطنيهم من النصارى ، وهم قلّة موزّعة على بلاد العرب من الخليج إلى المحيط بنسبة لا تزيد عن ١٠٪ ، ولكن هل ينزعج مواطنونا النصارى من نجدة إخواننا المسلمين في إنقاذ فلسطين ، وإنقاذ مهد عيسى عليه السلام ، وكنيسة القيامة ؟.

هل ينزعج مواطنونا النصارى إذا رأوا المسلمين من غير عرب يسابقون العرب جميعًا إلى بذل دمائهم رخيصة في سبيل إنقاذ الأرض المقدسة ..؟] .

وحجة أولئك الذين يفصلون بين العروبة والإسلام في حربنا مع اليهود أيضًا أن العالم اليوم لم يعد يسمح لنغمة الدين ، والقتال باسمه في قتال أو معركة .. وسيرمينا بالتخلف والرجعية إن نحن جعلنا القضية الفلسطينية قضية دينية !!.

ولكن أليس يدري أولئك أن إسرائيل حين قامت ، قامت على أسس دينية ، وأن الدعاية التي تقيمها لنفسها في الخارج هي باسم الديانة اليهودية ؟!..

اسمعوا إلى ما يقوله كبراؤهم :

– يقول اليهودي « وايزمان » في مذكراته : [لقد قابلت اللورد « بلفور » وزير خارجية بريطانيا الذي بادر بسؤالي على الفور : لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومي في « أوغندة » مثلًا ؟ قلت لبلفور : إن الصهيونية حركة سياسية قومية ، هذا صحيح .. ولكن الجانب الروحي منها لا يمكن إغفاله ، وأنا واثق تمام الوثوق أننا إذا أغفلنا الجانب الروحي ، فإننا لا نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي !!] .

– ويقول « هرتزل » في مؤتمر « بال » الذي عقد عام /١٨٩٧/م : [إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى اليهودية] .

– وكتب « بن غوريون » إلى الرئيس « ديغول » رسالة يقول فيها : [إن سِرَّ بقائنا بعد التدميرين : البابلي والروماني ، وفي حقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام يكمنُ في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدس ..] .

– لقد وضع زعماء اليهود قَسَمًا يقوله كل يهوديّ يبلغ سن الرشد هذا نصّه : [هذه يميننا يا إسرائيل ؛ أقسم أن أكرس ولائي للّه ، وللتوراة ، وللشعب اليهودي ، وللدولة اليهودية] .

– وتحدث « بن غوريون » في المؤتمر الخامس والعشرين للصهيونية العالمية في ٢٥/ ١٢/ ١٩٦٠ وقال : [إن كل يهوديّ يجب أن يهاجر إلى إسرائيل ، وإن كل يهودي أقام خارج إسرائيل منذ نشأتها ، يعتبر مخالفًا لتعاليم التوراة ، وأن هذا اليهودي يكفر يوميًا باليهودية ..] .

ولقد كان من تأثير القيم الروحية والدينية في الشعب اليهودي أن توصلوا إلى الأمور التالية :

[فالدولة اسمها « إسرائيل » وهي تسمية دينية .

– والذي يعمل يوم السبت يرمى بالحجارة .

– والذي يتزوج زواجًا مدنيًا لا تعترف به الدولة .

– والمطاعم التي لا تطبخ على الطريقة اليهودية تقفل أبوابها .

– وعلى كل يهودي أن يختار له اسمًا يهوديًا مأخوذًا من التوراة .

– ومنذ مدة قصيرة طلب « نسيم » أكبر حاخامية « إسرائيل » بجعل « التلمود » شريعة إسرائيل ، وكان قبله وزير الشؤون الاجتماعية في الدولة العنصرية قد حاول الاعتراف بالتوراة ككتاب تسير إسرائيل على مبادئه .

– وآخر ما سمعناه من الأخبار أن حزبًا كبيرًا من أحزابهم لم يصوت بجانب « غولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل بحجة أن الديانة اليهودية لا تبيح أن تترأس الدولة امرأة من النساء ..] (١) .

* * *

هل من الحقّ والعدل والمنطق .. أن نترك عدوّنا المغتصب ينطلق في حربه ضدّنا باسم الدين ، ويتوحّد باسم الدين ، ويقيم دولته على أسس دينية مع ما اعترى ديانتهم من تلاعب وتحريف ، ومع ما أصابها من نسخ وتبديل ..

ونحن أصحاب الرسالة الإسلامية الخالدة ، والعقيدة الرَّبَّانية الحقَّة ، والمبادئ التشريعية المتجددة ؛ والقضية العادلة المتميزة .. نخجل ونستحي أن ندخل الإسلام الذي هو شريعة اللّٰه في حساب المعركة ، وأن يكون قتالنا مع العدوّ باسم الإسلام الذي به نحيا وعليه نموت ؟!!.

بل وصلت الوقاحة عند بعض من يهتمون بالقضيّة الفلسطينية أن يعزلوا الإسلام عن المعركة ، وأن يتنكّروا لأكثر من ثمانمائة مليون مسلم .. حين حصروا التحرير والجهاد من أجل القضية الفلسطينية في العرب وحدهم ، وفي الدول العربية وحدها !!.

بل وصل الحقد واللؤم والافتراء على الحقيقة .. عند بعض من يضعون المناهج المدرسية ، ويؤلفون كتبها أن يقولوا في كتاب المجتمع المقرَّر تدريسه لصف الشهادة الثانوية : **« إن كل دعوة لإنشاء كيانات سياسية على أسس دينية إنما هي دعوة غبيّة »** .

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (٢) .

وأريد على أعقاب هذا الافتراء أن أبين من هم الأغبياء ؟.

الأغبياء هم الذين لا يعرفون لأمتهم طريق عزتها ووحدتها وأمجادها ..

الأغبياء هم الذين تنكروا لهذا الإسلام العظيم الذي بين طياته خصائص

---

(١) عن مجلة الحوادث اللبنانية الصادرة في /٩/ شباط عام /١٩٦٨/ م .

(٢) سورة الكهف آية : ٥ .

الاستمرار ، ومقومات الخلود .. إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

الأغبياء هم الذين خاضوا المعارك ضد اليهود باسم شعارات مزيفة ، ومبادئ كافرة .. فانحدروا بها إلى أسوأ النكسات ، وأقبح الوكسات ..

الأغبياء هم الذين مزقوا وحدة الأمة بأنظمة ومبادئ ما أنزل اللّه بها من سلطان .

الأغبياء هم الذين لم يأخذوا من التاريخ تجربته في بناء العزة والقوة والأمجاد ..

الأغبياء هم الذين جرّوا البلاد العربية إلى أن تنحاز إلى معسكرات وأحلاف ..

الأغبياء هم الذين تنكروا لأكثر من ثمانمائة مليون مسلم تربطنا وإياهم رابطة العقيدة ، وآصرة الإسلام ..

الأغبياء هم الذين أخذوا بأنظمة البشر القاصرة ، ورفضوا شرع اللّه الذي لا يعتريه الخلل والقصور .

أما أهل الوعي والفهم والاتّزان ..

فهم الذين يؤمنون بالإسلام على أنه نظام حكم ، ومبعث نهضته ، ومنهج حياة ..

وهم الذين يتفاعلون مع الشعوب الإسلامية آلامًا وآمالًا ..

وهم الذين يجاهدون من أجل بناء دعائم الوحدة الإسلامية الكبرى ..

وهم الذين لا يعرفون زعيمًا ولا قدوة ولا مشرّعًا .. غير محمد ﷺ ..

وهم الذين يخوضون المعارك باسم الإسلام ، ومن أجل إعلاء كلمة اللّه ..

وهم الذين يستلهمون من التاريخ الغابر الطريق إلى العزة والكرامة والنصر ..

* * *

ويكفي جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان فخرًا أنهم حينما آمنوا بالإسلام دينًا ودولة ، وعبادة وسياسة ، وجهادًا وشهادة ، ومصحفًا وسيفًا .. انطلقوا في مجاهل الأرض .. يمدنون الأمم ، ويكرّمون الإنسان ، وينشرون المعرفة ، ويملؤون الدنيا عدلًا وخيرًا وهداية ..

فما بين عشية وضحاها قامت لهم دولة وسلطان ، وأخضعوا لحكمهم فارس والروم ؛ وامتدّ ظلهم إلى بلاد السند شرقًا ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالًا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية إفريقية .. وذلك

كله في خمس وثلاثين سنة ؛ وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتدّ سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقًا ، ودخلوا بلاد الأندلس بأوروبة غربًا .. وقد استطاع أحد الخلفاء « هارون الرشيد » أن يصوّر للدنيا بسطة العالم الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره ، فيقول لها : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيُحمل إلينا » .

وما ذاك إلّا لأن الرعيل الأول من الصحابة ومن تبعهم بإحسان .. أدركوا مهمتهم وعرفوا رسالتهم ، وفهموا أن الجهاد في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته هو الطريق إلى العزة والوحدة والنصر ..

فهذا عقبة بن نافع الذي وصل إلى آخر الغرب ، ووقف على شاطئ المحيط الأطلسي وقال – وقد خاض جواده بالماء – : « **اللهم ربَّ محمد لولا هذا البحر لفتحتُ الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك .. اللهم فاشهد** » .

وهذا قتيبة الباهلي الذي توغل في آخر الشرق وأبى إلا أن يدخل الصّين فقال له أحد أصحابه محذّرًا مشفقًا : « لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة والدهر تقبل وتُدبر » ، فأجابه قتيبة ، والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : « بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدّة » ، فلما رأى هذا المحذّر عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله قال له :

« **اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة ، فهذا عزم لا يفلّه إلا الله** » .

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال إذ يقول :

بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقية ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارًا
كنّا نقدِّم للسيوف صدورنا ... لم نخش يومًا غاشمًا جبارًا
وكأن ظلَّ السيف ظلُّ حديقة ... خضراء تنبت حولها الأزهارا

هل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجلّ أو أعظم ، أو أرقى أو أعظم .. ؟.

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين قال – فيما رواه الحاكم – :

« نحن قوم أعزنا اللّه بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا اللّه به أذلّنا اللّه » .

وفعلًا حين ظن بعض الحكام في حروبنا الماضية ضد إسرائيل أن العزة لا تتحقق إلا بتأييد الدول الكبرى وإمداداتها الحربية .. أذلّهم اللّه !!.

وحينما ظنّوا أن النصر لا يأتي إلا برفع الشعارات القومية ، والمبادئ الثورية .. هزمهم اللّه !!.

وحينما ظنوا أن التقدم الحضاري لا يتحقق إلا بفصل الإسلام عن الدولة .. أخزاهم اللّه !!.

وحينما ظنوا أن رابطة الوحدة لا تقوم إلا على آصرة اللغة والجنس والأرض والمصالح المشتركة .. مزّقهم اللّه !!.

ألا فليعلم كل مَنْ كان في جوانحه بقية من إسلام ، وفي قلبه ذرّة من إيمان ، وفي رأسه شيء من عقل وإدراك .. أن الطريق إلى التحرير والنصر والسعادة .. هو أن يتوحّد المسلمون على مبادئ الإسلام ، وأن يكون قتالهم لعدوّهم من أجل إعلاء كلمة اللّه ، وأن يتمنوا – حينما يخوضون المعارك – الشهادة في سبيل اللّه .. ؟!!.

وما عدا ذلك من أسماء ومسميات .. انحدار بالبلاد والعباد إلى حضيض الذلة والارتكاس والصَّغار ، وتمكين للعدوّ أن يحقق لنفسه التقدم والتوسع والانتصار !!..

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [1] .

فهل يعقل – والقتال مقتصر على العرب – أن ينال المحاربون من عدوّهم نيلًا ، أو ينصرهم اللّه في معركة المصير ؟.

إذن فالنصر لا يتحقق إلّا أن نجعل القضية الفلسطينية قضية الإسلام والمسلمين .

٥ - وحدة البلاد السياسية تحت إمرة واحدة :

مما سطره التاريخ لصلاح الدين بمداد من الفخر أنه حين انتصب رحمه الله على كرسيّ الوزارة بمصر ، ومات آخر خليفة فاطمي سنة /٥٦٧/ هـ وأصبح صلاح الدين في ذلك الحين سلطانًا على مصر ، ثم وسع دائرة مملكته ، فغزا بلاد النوبة (جنوبي مصر) ، واحتل بلاد اليمن والحجاز ، وأصبح البحر الأحمر كله تحت حكمه وسيادته ؛

---

(١) سورة يوسف آية : ٢١ .

وعمل صلاح الدين أيضًا على ضم مملكة « نور الدين » بعد أن وافاه الأجل ، فامتلك دمشق ، وحلب ، وبقية البلاد الشامية ..

وتكونت لصلاح الدين يومئذ وحدة إسلامية متراصة تشمل شمال العراق ، والكردستان ، والشام ، واليمن ، ومصر ، وبرقة ، وغيرها ..

ولاشك أن إرساء هذه الوحدة وتثبيت دعائمها كان له أكبر الأثر في تحرير الأرض المقدسة بعد أن مُنيت هذه البلاد بالانقسام والاضطراب ، وبعد أن كانت تحكم من قبل الصليبيين ما يناهز المائة عام ..

ومما لا يتجادل فيه اثنان أن بلاد الإسلام حين تتوحّد جغرافيًا ، وترتبط ببعضها سياسيًا ، وحين يتولى إمرتها رجل مؤمن ، وبطل محنك ، وقائد شجاع ، وسلطان مدرّب ، وأمير مخلص .. فإن النصر للأمة الإسلامية لابد أن يتحقق ، وأن الراية الإسلامية لابد أن تخفق في سماء المسلمين تشمخ بعزتها وسيادتها !!.

وهذا ما استطاع أن يفعله البطل الهمام صلاح الدين قاهر الصليبيين ، وطارد الغزاة المتوحشين ، ومحرر المسجد الأقصى .. قبل أن ينتصر على الصليبيين في معركة حطين الحاسمة ، وقبل أن يسجل في تاريخ البطولات هذا النصر العظيم الخالد !!.

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضها العرب ضد إسرائيل ؟

صحيح أن البلاد العربية قد تحرَّرت سياسيًا من الاستعمار الفرنسي ، والاستعمار البريطاني منذ ثلث قرن من الزمان ، ولكنها لم تتحرّر فكريًا ووجدانيًا بعد ، ولم تتهيأ أن تقبل هدي اللّه المتمثل في نظام الإسلام ؛ والأظلم من ذلك أن نرى اليوم من يسير في فلك أميركا الإمبريالية جهارًا نهارًا ، وأن نرى منهم أيضًا من يسير في فلك روسيا الشيوعية بلا تحفظ ولا اكتراث !!.

وثالثة الأثافي ذلك الإقبال على مصالحة إسرائيل ، وتوقيع صك الخيانة لأمة الإسلام بإيحاء من أمريكا الظالمة الباغية .. دون استشعارٍ لإثم أو وخز ضمير ، أو أي وازع ديني .

فكان من نتيجة هذا التباين الفكري ، والصراع العقائدي ، والتبعية السياسية ، والخيانة البغيضة .. أن حدثت فرقة العرب ، وراحوا يكيلون لأنفسهم

التهم ،والسّباب ، والشتائم بلا أدب ولا أخلاق !!.

وكم سمعنا عن مهاترات واتهامات .. بين أولئك ، كانت تنقلها أمواج الأثير إلى أسماع الدنيا هنا وهناك ؟.

وكلٌ يتهم الآخر بالعمالة والخيانة ، وكلٌّ يظهر خصمه بمظهر السافل الرقيع .. والعدو الإسرائيلي المتربص يرقب بعين ساهرة هذه الاتهامات والشتائم .. ولاشك أنه ينتشي فرحًا ، ويرقص طربًا على ما وصلت إليه حالة هؤلاء الحكام من تنابذ وعداوة وبغضاء .. بينما العدوّ اليهودي في كل يوم يتقوى ماديًا ، ويتفوق سياسيًا ، ويشجع كل يهودي في العالم على الهجرة إلى فلسطين ، ويعمل ليل نهار ، ليصل في نهاية المطاف إلى تنفيذ مخططه الأكبر من الفرات إلى النيل !!.

وما كان هذا التفرق والشتات الذي مني به العرب في هذا الوقت السالف إلا من نتائج التخلي عن الإسلام والتنكر لمبادئه ومناهجه ؟!.

فلقد أثارت هذه الأفكار الهدامة سواء أكانت شرقية أم غربية فئات من الشعب ، بعضها على بعض ، وأثارت كذلك حفيظة الحكومات التي لا تقبل تلك المبادئ ، ولا تلتقي مع تلك الأفكار والمعتقدات ..

فكان من نتيجة هذا التباين في المبادئ والمذاهب والأفكار .. أن انقسم العالم العربي إلى أقسام : فهذا ينتمي إلى واشنطون ، والآخر ينتمي إلى موسكو ، والثالث ينتمي إلى بكين ، والرابع التزم الحياد .. وهكذا تفرقت الدول العربية إلى معسكرات وأحلاف ، وشيع وأحزاب .. صنّفها المصنفون إلى ثوريين ومحافظين ، وإلى يساريين ويمينيين ، وإلى تقدميين ورجعيين .. ولم يكن في الإمكان أن يجتمعوا على فكرة واحدة ، أو ينضوُوا تحت راية واحدة ، لأن الأكثر تخلى عن شريعة الإسلام ، وتنكب عن الحكم بما أنزل الله .

وهذا ما حذّر منه القرآن الكريم حين قال :

- ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١) .

- ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (٢) .

- ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ . (٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦ .

وهذا ما حدث عنه رسول الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه حين قال : فيما رواه الحاكم : - « **وما حكم أمراؤهم بغير ما أنزل اللّه إلا سلط عليهم عدوَّهم فاستفدوا بعض ما في أيديهم ؛ وما عطلوا كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ إلا جعل اللّه بأسهم بينهم** » .

هل يعقل – والمسلمون على هذه الحال من التفرق – أن ينالوا من عدوِّهم نيلًا ، أو ينصرهم اللّه في معركة المصير ؟.

إذن فلا نصر حتى يتوحد المسلمون فكريًّا وسياسيًّا تحت راية الإسلام .

٦ ـ الاعتقاد أن الذي يصنع النصر هو الله وحده :

سبق أن ذكرنا أن السلطان صلاح الدين رحمه الله كان إذا سمع أن العدو قد داهم المسلمين خرّ إلى الأرض ساجدًا ، ودعا اللّه عز وجل بهذا الدعاء : « إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل » .

وسبق أن بينا أنه رحمه الله كان يقصد بوقعاته الجُمع ، سيما أوقات صلاة الجمعة تبركًا بدعاء الخطباء على المنابر ، فربما كانت أقرب للإجابة ، ولم ينقض ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء ..

وهذا التصرف منه رحمه الله إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الذي يصنع النصر هو اللّه ، وأن الذي ينفع ويضر ، ويعز ويذل ، ويخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع .. هو مالك الملك سبحانه ، مَنْ بيده مقاليد كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (١) .

أين هذا من الحروب الأربعة التي خاضها العرب ضد إسرائيل ؟.

فإنهم قد اعتمدوا في تحقيق العزة والنصر على أمريكا مرارًا ، وعلى روسيا تكرارًا ، واعتمدوا على مجلس الأمن تارة ، وعلى هيئة الأمم أخرى ..

فماذا استفادوا وإلى أية نتيجة وصلوا ؟

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٦ .

كلنا يعلم أن هذه الحروب الأربعة كانت لصالح إسرائيل ، وما استفاد زعماء العرب من هذه الحروب التي خاضوها غير الهزيمة والعار ؟!!.

كيف يعتمدون على روسيا وهي التي أيدت قيام دولة إسرائيل ، وهي التي اعترفت بوجودها ؟!!.

وكيف يرجون نصرتها وتأييدها .. ومجلس السوفييت الأعلى أكثره من اليهود ؟!!.

وكيف يعتمدون على أمريكا ، واليهودية العالمية هي التي تحرك أمريكا ، وتوجهها الوجهة التي تريد ، بل هي من وراء حكوماتها المتعاقبة ؟!!.

وكيف يعتمدون على مجلس الأمن أو هيئة الأمم .. وأعضاؤها لا يملكون من التنفيذ سوى إصدار القرارات ، وترويج التصريحات ؟!!.

فأي إنسان اعتقد أن النصر لا يأتي إلا إذا انحاز الحكام إلى الدول الكبرى كروسيا أو أمريكا .. يكسبون تأييدها ومناصرتها .. فإنه يكون إنسانًا مريض القلب مزعزع الإيمان ، فاقد الثقة بالله ﷻ ..

وأريد في هذا المقام أن نستشف جميعًا حروب الماضي البعيد ، لنستمد منها دروسًا ودروسًا في حربنا اليوم مع إسرائيل .. عسى أن يغير المسلمون مسارهم الاعتقادي ، وينظروا من جديد في منهجهم القتالي .. ويتفاءلوا بالنصر المؤزر ، والفتح المبين ..

- **في غزوة بدر** كان المسلمون - كما هو معلوم - قلة في عددهم ، وضعفاء في عدتهم .. فلما توجهوا بكليتهم إلى الله ، واستغاثوا به ، ولجؤوا إليه واعتمدوا عليه ، واعتقدوا أن النصر من عنده سبحانه ، شملهم الله ﷻ بالنصر والتأييد ، وأنزل عليهم ألفًا من الملائكة مردفين .. ومزق أعداءهم شر ممزق ، وقتلهم شر قتلة ، وهزمهم أشنع هزيمة ، ودحرهم على أعقابهم خزايا نادمين ..

والقرآن الكريم سجل بأحرف من نور معالم هذا النصر الخالد ، وبين أنه من صنع الخالق العظيم ؛ قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] ... ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ

(١) سورة الأنفال آية : ٩ - ١٠ .

فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ ... ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

– **وفي غزوة حنين** التي وقعت بعد فتح مكة كان المسلمون كثرة في عددهم ، وأقوياء في استعدادهم .. فلما اعتمدوا على القوة المادية في تحقيق النصر ، وغفلوا عن حقيقة أن الله سبحانه يخلق النصر ، ويمد المؤمنين بمدد السماء ، ويؤيدهم في حربهم مع الأعداء ..

لما غفلوا عن هذه الحقيقة ، واعتمدوا على قوة عدتهم ، وكثرة رجالهم .. هزمهم الله في بدء المعركة – وهم الأقوياء – ليُريهم ويُري المسلمين من بعدهم أن القوة والكثرة ، والعدد والعدة .. كل ذلك لا يجدي شيئًا إذا لم يكن من الله تأييد ، ولم تمتلئ نفوس المجاهدين بمعاني الثقة بالله ، ولم يعتقد المؤمنون أن صانع النصر هو الله ..

والقرآن الكريم قد سجل هذه الواقعة في سورة التوبة ، لتأخذ الأجيال المتعاقبة منها العبرة والعظة .. فلا يعتمدون في حروبهم مع الأعداء إلا على الله ، ولا يلجؤون إلا إليه ، ولا يستغيثون إلا به ، ولا يعوّلون إلا عليه .. مهما كانوا أقوياء أشداء .. قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) .

وهذا المعنى في تحقيق النصر لا يمنع أن يستفيد المسلمون من علوم غيرهم ، ومن اختراعاتهم في وسائل الحرب ، ومعطيات الحضارة .. لعموم قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ (٣) ، ومن عموم قوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي والعسكري : « الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها هو أحق بها » (٤) .

فالمسلمون حين يستوردون المعدات الحربية من أي دولة كبيرة .. من أجل أن يتقووا حربيًا ، ويتكوّنوا عسكريًا .. فلا أحد يعارض أو ينكر إذا كان هذا الاستيراد غير مشروط بشروط تفقدهم شخصيتهم ، أو تمس بكيانهم وسيادتهم .. علمًا أن

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٧ – ١٨ . (٢) سورة التوبة آية : ٢٥ – ٢٦ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٤) أخرجه : الترمذي في السنن (٢٦٨٧) وابن ماجه في السنن (٤١٦٩) .

الإسلام - كما سبق ذكره - يوجب على المسلمين ككل أن يعدوا كل ما يحتاجونه عسكريًا ، وأن يهيؤوا كل ما يلزمهم حضاريًا ..

بل جعل هذا الإعداد من قبيل الفرض الكفائي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، وإذا لم يقم به أحد فكل المسلمين آثمون !!.

فليجرب حكام العرب - ولو مرة - أن يدخلوا المعركة باسم الإسلام ، وأن يعتمدوا في حربهم مع اليهود على تأييد اللّه ونصره ، وأن يرجعوا في أنظمتهم وقوانينهم إلى شريعة اللّه وحكمه .. ليروا كيف يكون النصر ؟ ولينظروا كيف يأتي اللّه بالفتح ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] .

هل يعقل - والمسلمون على هذه الحال من الإعراض عن اللّه - أن ينالوا من عدوّهم نيلًا أو ينصرهم اللّه في معركة المصير ؟.

إذن فلا عزة ولا نصر حتى يعتقدوا أن الذي يصنع النصر هو اللّه وحده .

٧ - القتال حتى تحرير آخر شبر من الأرض :

من الأمور المسلم بها تاريخيًا أن السلطان صلاح الدين رحمه الله خرج من دمشق عام /٥٨٣/ هـ وقد جمع الجموع الكبيرة لقتال الصليبيين في « حطين » ، وأيقن الصليبيون بالقوة التي يقودها البطل صلاح الدين ، وأيقنوا الخطة التي دبرها .. عندئذ حشدوا من القوات الكبيرة ما أمكن حشده ، وتوجهوا إلى (طبرية) ، وتقابل الفريقان في « حطين » .. أصبح الصباح ، وانتشرت حرارة الشمس المحرقة ، فأعانت المسلمين بالفتك بهؤلاء العطاش لاستيلائهم على مواقع المياه ؛ وهجم البطل صلاح الدين على الفرنج هجومًا عنيفًا فرق فرسانهم عن مشاتهم ، وتقهقرت فلولهم إلى تلال حطين من شدة ما لاقوا من الهول والشدة والعطش .. وبعد معارك ضارية بين الطرفين انتصر صلاح الدين انتصارًا حاسمًا ، وانهزم الصليبيون هزيمة منكرة لم يفلت منهم أحد بين قتيل وأسير ، وبلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف ..

وبعد الانتصار الكبير توجه بقواته إلى ميناء « عكا » ، فاستسلم من فيها بأمان ، ثم وقع احتلال المدن والحصون مثل : « تبنين - صيدا - جبيل - بيروت » ... واستسلمت « عسقلان » بعد محاصرتها ؛ وتوجه إلى بيت المقدس بعد احتلال

(١) سورة الأنفال آية : ١٠ .

« الرملة – الداروم – غزة – بيت لحم – النظرون » ، أما القدس فقد استسلمت بعد أسبوع من المقاومة ، وتم للسلطان صلاح الدين الفتح الأكبر .

وبعد أن تم هذا الفتح العظيم وقف الشاعر العالم « أبو الحسن الجويني » يحيي البطل بهذه القصيدة العصماء :

جند السماء لهذا الملك أعوان ... من شك فيهم فهذا الفتح برهان

هذي الفتوح فتوح الأنبياء وما ... لها سوى الشكر بالأفعال أثمان

أضحت ملوك الفرنج الصّيد في يده ... صيدًا وما ضعفوا يومًا وما هانوا

تسعون عامًا بلاد اللّه تصرخ الإسلام ... أنـصـاره صـم وعـمـيـان

فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم ... بأمـر مـن هـو للمعوان معوان

إذا طوى اللّه ديوان العباد فما ... يُطوى لأجر صلاح الدين ديوان

وهكذا قاتل البطل صلاح الدين الصليبيين قتال المستميت حتى حرر آخر شبر من أرض فلسطين من استعمارهم ، واغتصابهم الظالم .. وأعاد المسجد الأقصى ، وأرض الإسراء والمعراج إلى حكم الإسلام ، وسلطان المسلمين !!.

أين ما فعله العرب في حروبهم الأربعة مع إسرائيل ؟

سبق أن ألمحنا أن كل حرب خاضها العرب ضد إسرائيل لصالح إسرائيل امتدادًا واتساعًا ، وقوة وتمكينًا .. حتى استطاعوا في حرب /١٩٦٧/ أن يغتصبوا القدس ، ويحتلوا المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى محمد ﷺ !!.

ومما يؤسف له حقًا كما أشرنا سابقًا :

– أن نجد من العرب من صالح إسرائيل ، ووقع بيده الآثمة صك الخيانة وعار الأبد إلى يوم البعث والنشور ..

– وأن نجد منهم من يطالب بتنفيذ مقرارات مجلس الأمن في حل القضية الفلسطينية التي تقضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلوها بعد حرب /١٩٦٧/ م وهذا معناه اعتراف ضمني بإسرائيل ..

– وأن نجد منهم مَنْ حلّ منظمات الفلسطينيين ، وقضى على معسكراتهم في تلّ الزعتر وغيرها ..

- وأن نجد منهم من سلّم القنيطرة لليهود قبل سقوطها باثنتين وعشرين ساعة في حرب / ١٩٦٧ م .

- وأن نجد منهم من ينادي بدولة مستقلة للفلسطينيين تتاخم دولة إسرائيل .

- وأن نجد منهم من يتبنّى مشروع « روجرز » الذي يعطي بعض الحقوق للفلسطينيين على أن يتم الاعتراف بإسرائيل .

- وأن نجد منهم من يدعو إلى التفاوض مع إسرائيل على مائدة مستديرة في « جنيف » أو غير جنيف ..

- وهناك مخطط رهيب لتصفية العمل الفدائي ، ومصالحة إسرائيل ، وطعن القضية الفلسطينية في الصميم ..

إلى غير ذلك من هذه الاقتراحات الاستسلامية ، والمشاريع التصفوَيَّة .. ولا شك أنَّ كلَّ هذا لصالح إسرائيل ، ومرحلة أولى لتحقيق مطامعها التوسعية ، وأهدافها الاستعمارية !!.

وهؤلاء الذين يطلقون مثل هذه التصريحات لو أدركوا الخطر الذي ينجم من وراء هذه الحلول الاستسلامية لما وقفوا من القضية الفلسطينية هذا الموقف المشين ، ولما فكروا يومًا من الأيام أن يقبلوا مصالحة إسرائيل !!.

وإليكم ملخص هذه الأخطار كما سبق بيانها في مقدمة هذا الكتاب عسى أن تكون ذكرى لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

- الاعتراف بالوجود الإسرائيلي معناه أن إسرائيل أصبحت آمنة مطمئنة على تآمرها وتنفيذ مخططاتها [1] في قلب الوطن العربي الإسلامي .

- والاعتراف معناه أن أمريكا أصبح لها في قلب البلاد العربية قواعد عسكرية ، ومطامع سياسية ، ومصالح اقتصادية ..

- والاعتراف معناه أن البلاد العربية ستبقى مهدَّدة بخطر الحرب والاعتداء في كل لحظة وآونة ..

- والاعتراف معناه أن التآمر على الإسلام والمسلمين سيستفحل أمره ، ويتفاقم شرُّه ... إلى أن تتخلى أمة الإسلام عن دينها ، وتعرض عن هدي ربها ...

---

(١) ومخططها كما هو مكتوب على باب « الكنيست » الإسرائيلي : « حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل » .

– والاعتراف معناه أن إسرائيل انفتحت بتجارتها ... على البلاد العربية المجاورة ... وفي ذلك مسّ كبير باقتصاد البلاد ، ومصالح العباد ..

– والاعتراف معناه أن الرذيلة ستنتشر بشكل أعظم بين شباب الإسلام .. لمخططات يهود في إفساد الأمم ، وانهيار الأخلاق ..

تلكم أهم الأخطار التي تنجم عن مصالحة إسرائيل ، والاعتراف بوجودها ، وعقد معاهدة الصلح معها ..

– فيا ليت أولئك الذين صالحوا إسرائيل ، أو الذين يسعون إلى الحل السّلمي معها ، فياليتهم يدركون جيدًا ماذا تريده إسرائيل من دعوتها إلى السلام ، ومن مناشدتها للحلول السّلمية ، ومن لهفتها الزائدة لإنهاء القضيّة بالتفاهم والمصالحة .. ؟ .

أيُّ سلام هذا ؟

أيُّ حلٍّ هذا ؟

أيُّ صلح هذا ؟

هل من الحق والعدل أن يغتصب اليهود أرض فلسطين ظلمًا وعدوانًا ثم نرضى بالسلام الذي به ينادون ؟

هل من الحق والعدل أن يطرد اليهود الآلاف من ديارهم تشريدًا وتشتيتًا ثم نرضى بالحل السّلمي الذي به يتبجحون ؟

هل من الحق والعدل أن يستحوذ اليهود على القدس ، وأن يحتلوا المسجد الأقصى .. ثم نرضى بالمصالحة التي بها يتشدّقون ؟

فما مثل هؤلاء الذين يدعون إلى السلام إلا كمثل من يسلب لصاحب حقٍّ حقَّه ؛ أو يغتصب لصاحب ملك داره .. ثم يدعوه ليعقد معه عقد صلح ووفاق وتفاهم !!.

كيف يقبل الصلح وحقّه من صاحب الدعوة مسلوب ؟

كيف يقبل الوفاق وداره من الداعي إلى الوفاق مغتصبة ؟

لا يمكن أن يرضى بالصلح إلا بعد أن يعود إليه حقه الشرعي ..

ولا يمكن أن يرضى بالوفاق إلا بعد أن تعود إليه داره التي اغتصبت ظلمًا .

وكذلك لا مصالحة مع إسرائيل ، ولا سلام معها .. حتى تعود أرض فلسطين

للفلسطينيين ، وأن تعود القدس والمسجد الأقصى للمسلمين .. وإلا فليس بيننا إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ..

هل يعقل – والعرب على هذه الحال من التفاوض والمصالحة – أن ينالوا من عدوهم نيلًا ، أو ينصرهم الله في معركة المصير ؟.

إذن فلا مفاوضة ولا صلح .. مع إسرائيل حتى يحرر المسلمون آخر شبر من أرض فلسطين ، وتعود أرض الإسراء والمعراج كلها ملكًا للمسلمين !!.

* * *

والذي أخلص إليه بعدما تقدم :

• إذا كان من أسباب النصر في معركة حطين الحاسمة هو « **تقوى الله والاحتراس من المعاصي** » فإن أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود اليوم هو « انهيار الجانب المعنوي والروحي » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

• وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « **الإعداد الكامل والاهتمام البالغ لقضية التحرير** » ، فإن من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود اليوم هو « الاهتمام للقضية بالتهريج والتمثيل » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

• **وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « القتال من أجل إعلاء كلمة الله »** ، فإن من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود هو « القتال من أجل العصبيات والمبادئ المستوردة » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

• وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « **جعل قضية التحرير قضية الإسلام والمسلمين** » فإن من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود هو « جعل قضية فلسطين قضية العروبة والقومية » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

• وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « **وحدة البلاد السياسية تحت إمرة واحدة** » ، فإن من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود هو « التفرق والتنابذ والخصام » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

• وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « **الاعتقاد السائد أن الذي يصنع النصر هو الله** » ، فإن من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود اليوم هو « الاعتماد في تحقيق النصر على الدول الكبرى والقوى المادية .. » ، وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

● وإذا كان من أسباب النصر في حطين هو « **القتال حتى تحرير آخر شبر من الأرض** » ، فإنه من أسباب الفشل والهزيمة في معاركنا مع اليهود هو « الدعوة إلى التفاوض أو المصالحة » [١] للوصول إلى أنصاف الحلول ثم بالتالي الاعتراف بإسرائيل ؛ وقد جاء ذكر ذلك بالتفصيل .

هذه مقارنة وموازنة للحروب الفلسطينية بين الأمس واليوم ، فما أحوج الحكام اليوم إلى معرفة المنهج الإسلامي الموصل للظفر ، المحقق للنصر .. عسى أن ينهضوا بأمتهم من جديد إلى المستوى اللائق من الاستشعار بالمسؤولية في تحرير الأرض المقدسة ، وإقامة دولة الإسلام ..

ولاشك أن النهج الذي سار عليه السلطان صلاح الدين في تحقيق النصر على الصليبيين ليس من مبتكراته ولا من عندياته ، وإنما هو مستمدّ من مبادئ الإسلام ، وسير الخلفاء ، وأخلاق القوّاد الفاتحين الأعلام ..

ما أحوج أمة الإسلام اليوم إلى بطل كصلاح الدين في عبادته وتقواه ، وفي شجاعته وصبره ، وفي حركته وجهاده ، وفي حزمه وعزمه ، وفي التزامه لشريعة الإسلام ..

ولا ريب ، حين تكتمل هذه الصفات النبيلة ، وهذه المعاني العظيمة .. في حاكم مسؤول ، أو قائد بطل .. فليرتقب المسلمون على يديه التحرير الأكبر ، والنصر الأعظم ، والعزة المنيعة ، والدولة الإسلامية العتيدة .. وما ذلك على الله بعزيز .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [٢] .

لا همّ قد أصبحت أهواؤنا شيعًا فامنن علينا براعٍ أنت ترضاه
راعٍ يعيد إلى الإسلام سيرته يرعى بنيه وعين الله ترعاه

* * *

---

(١) صحيح أن العرب في حروبهم الأربعة لم يدعوا صراحة إلى التفاوض والمصالحة ولكن استعدادهم النفسي لها كان متحققًا بدليل أنهم كانوا يقبلون الهدنة ؛ والسادات بعد الحرب الرابعة عقد معاهدة الصلح .

(٢) سورة الحج آية : ٤٠ - ٤١ .

الفصل الثالث

هل يجوز اليأس في دين الله ؟

صحيح أن الدول الغربية عامة ، وأمريكا خاصة هي التي صنعت إسرائيل ..

وصحيح أن الدول الشيوعية والاشتراكية ، وعلى رأسها روسيا هي التي اعترفت بالوجود الإسرائيلي ..

وصحيح أن إسرائيل في غضون ثلث قرن من الزمان أصبحت من القوة والاستعداد والنفوذ ما لم تبلغه دولة فتية ناشئة ..

وصحيح أن اليهود هم أصحاب الدهاء والمكر والفساد والخبث .. على مدار التاريخ ، وخلال العصور ..

وصحيح أن أمريكا الظالمة هي التي تساند إسرائيل بالمال والعتاد ، وتمدها بالمعدات والذخائر ..

وصحيح أن اليهود هم المسيطرون على زمام الاقتصاد في العالم ، وهم المصطنعون والمروّجون لفلسفات الفكر والمبادئ .. في كل زمان ومكان ..

وصحيح أن الدول الكبيرة في العالم سواء أكانت شرقية أو غربية تعمل لتقوية إسرائيل ، وتحرص على وجودها لغايات سياسية ، وأهداف اقتصادية ، ومصالح شخصية ..

صحيح أن اليهود يتميزون بهذه الخصائص ، وتنطبق عليهم هذه المواصفات ..

ولكن ينبغي أن لا يتملكنا قنوط في مجاهدتهم ، وأن لا يستحوذ علينا يأس في اقتلاعهم واستئصالهم ..

وذلك لسببين :

الأول : لأن القرآن الكريم حرّم اليأس وندّد باليائسين .

الثاني : لأن التاريخ برهن على انتفاضات الأمم المنكوبة في وجه أعدائها .

● أما أن القرآن الكريم حرّم اليأس وندّد باليائسين .

فللآيات الصريحة الواضحة :

- من هذه الآيات ما تعتبر اليأس قرين الكفر ، قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) .

- ومن هذه الآيات ما تعتبر اليأس قرين الضلال ، قال تعالى في سورة الحجر : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (٢) .

- ومن هذه الآيات تنديد بالإنسان اليائس وتقبيح لنفسه الخائرة وقلبه الهالع ، قال تعالى في سورة الروم : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٣) ؛ وقال في سورة فصلت : ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (٤) .

فمن هذه النصوص القرآنية يتبين أنه لا يجوز اليأس في دين اللّه ، وكتابه الخالد . لأن اليأس قاتل للرجال ، وهازم للأبطال ، ومزلزل للشعوب ..

فعلى المسلم أن يحذر من وجهات النظر اليائسة المتهالكة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » ، « اللهم إن هذا منكر لا أرضى به ولا أقدر على ردّه » ، « الزم حلس بيتك فليس في الجهاد فائدة » ؛ لقد سَمَّى القرآن الكريم هذه الزمرة اليائسة الميئسة بالمعوقين ، قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٥) .

إن هذه الطائفة اليائسة عندنا تتبنى هذه الوجهة من اليأس والقنوط .. إنما تدلل على هلاكها قبل كل شيء ، وليس على هلاك المسلمين ؛ يقول عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قال هلك المسلمون فهو أهلكهم » (٦) .

والعجيب الغريب أن نجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة ، والتزام أحلاس البيوت .. اعتقادًا منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وأن لا أمل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع عزتها وكيانها .. وآن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٧ .
(٢) سورة الحجر آية : ٥٦ .
(٣) سورة الروم آية : ٣٦ .
(٤) سورة فصلت آية : ٤٩ .
(٥) سورة الأحزاب آية : ١٨ - ١٩ .
(٦) أخرجه مسلم في البر والصلة (١٣٩) ومالك في الموطأ ٢/٩٨٤ .

بيضع غنيمات ، يتتبع بها شعف الجبال يفر بدينه من الفتن حتى يدركه الموت ..

صحيح أن النبي ﷺ قال - فيما رواه البخاري - : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ، ولكن الحديث محمول - كما قال العلماء - على من يفتن بدينه ، ويجبر على الردّة [1] !!.

أما أنه مادام يوجد في أرض الإسلام مسلمون يؤدون الشعائر ، ويطبقون على أنفسهم أحكام الإسلام ؛ ومادام أنه ثمة مجال للتعاون ، وتحقيق العز للإسلام .. فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء .. لأنه ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب ؛ لذا وجب على المسلمين أن يحققوا حكم الله ، وأن يحرروا الأرض المقدسة ، وأن يقيموا في ربوع المعمورة دولة الإسلام !!.

- **أما أن التاريخ برهن على انتفاضات الأمم المنكوبة في وجه أعدائها :**

فللحوادث التاريخية التي وقعت لأمة الإسلام :

- من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة حينما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقام أبو بكر الصديق ﷺ بالخلافة .. ففي هذا الوقت عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق ، وارتد من ارتد من أحياء العرب ، وظهر مدّعو النبوة ، وامتنع قوم عن أداء الزكاة ، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة ؛ وأصبح المسلمون كما يقول « عروة بن الزبير » ﷺ : « كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ، وقلتهم ، وكثرة عدوهم » ؛ حتى وجد من المسلمين من قال لأبي بكر ﷺ : « يا خليفة رسول الله : أغلق بابك ، والزم بيتك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » أي الموت .

ولكن أبا بكر ﷺ لم يعتره اليأس ، ولم يمتلكه القنوط .. وإنما واجه هذه الأحداث كلها بإيمان راسخ ، وعزيمة ثابتة ، وتفاؤل عظيم ..

وقال على مسمع الدنيا قولته الخالدة « أينقض الدين وأنا حي » ؟.

---

(١) كل حديث صحيح يدعو إلى العزلة محمول أيضًا على من يفتن بدينه ويجبر على الردة ، وذلك قبل قيام الساعة ، لأن الساعة حينما تقوم ، تقوم وليس على الأرض من يقول : « الله ، الله » ، « تقوم على لكع ابن لكع » أي لئيم بن لئيم كما ثبت في « الأحاديث الصحيحة ... » .

وهو الذي قال لعمر ﷺ حين عاتبه على قتال مانعي الزكاة : « مه يا عمر ، رجوت نصرتك ، وجئتني بخذلانك ، أجبار في الجاهلية ، وخوَّار في الإسلام ، ماذا عسيت أن أتألفهم بسحرٍ مفتعل أم بشعر يفترى ، هيهات هيهات ، مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحي ، فوالله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي ، فوالله لأقاتلن من فرق بين الصلا والزكاة ، فوالله لو منعوني عقال بعير ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » .

فقال عمر : « ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق » .

وهو الذي أنفذ جيش أسامة ﷺ وقال للمعارضين : « والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته ، ما كنت أحل عقدًا عقده رسول الله ﷺ بيديه » .

وهكذا تغلب أبو بكر ﷺ على الصعاب ، وقضى على الثوارت والفتن ، وانتصر على المرتدين ومدعي النبوة ومانعي الزكاة .. ، وأعاد للمسلمين عزتهم ، ولليائسين تفاؤلهم ، وللإسلام دولته ، وللخلافة هيبتها وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان !!..

– ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية ، والمسجد الأقصى ما يقارب قرنًا من الزمان ، حتى ظن الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين ، وأن لا رجاء في ردّ أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين ؟

من كان يظن أن هذه البلاد ستتحرر في يومٍ ما على يد البطل المغوار « **صلاح الدين** » في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة والسيادة ما شرف التاريخ ؟!!.

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان !!.

– ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتتار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ونهبوا الأموال ، وداسوا القيم ، وفتكوا في

الأنفس ، والأعراض فتكًا ذريعًا ؟ حتى قيل إن جبالًا شامخة ، وأهرامات عالية .. أقامها « هولاكو » من جماجم المسلمين !!..

ومما قاله المؤرخ « ابن الأثير الجزري » في هول هذه الأحداث : [.. لقد بقيتُ عدة سنين معرضًا عن ذكر الحادثة استعظامًا لها ، كارهًا لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلًا وأؤخر أخرى ؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمي لم تلدني ، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا ..] .

من كان يظن أن بلاد الإسلام - بعد هذا ستتحرر في يوم ما على يد البطل المقدام « قطز » في معركة « عين جالوت » الحاسمة .. ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة .. ما فخرت به الأجيال ؟!!.

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان ..

[إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصور مختلفة ، وانتفاضة الأمة الإسلامية بعدها ونهوض العرب ، يلتقي على نقطة واحدة ، وهي وجود قيادة مؤمنة ، راسخة العقيدة ، قوية الإيمان بوعد الله ونصره ، وبصلاح الإسلام ، وبالقوة الكامنة فيه ، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه ، مجردة عن كل أنانية ، وعصبية جاهلية .. ويلتقي هؤلاء القادة .. على أنهم كلهم كانوا يدعون بدعوة الإسلام ، ويقاتلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام ، واستحقوا بذلك نصر الله وتأييده الخارق للعادة ، وظهرت المعجزة .. فقد قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [2]] [3] .

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وأن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان .. والله سبحانه مع المتقين المخلصين المجاهدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله .. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [4] .

ولكن هل من ثمة مبشرات مستقبلية تبشر بالعز لهذا الإسلام ، والانتصار لهذا

(١) سورة المجادلة آية : ٢٢ . (٢) سورة الصافات آية : ١٧٣ .

(٣) من كتاب « المسلمون وفلسطين » للداعية الكبير أبو الحسن الندوي ص : / ٦٧ - ٦٨ .

(٤) سورة القصص آية : ٥ .

الدين ، واستئصال هؤلاء اليهود من أرض فلسطين ؟!!.

نعم ، إن هناك مبشرات مرتبطة بشرط النصرة لله ، والامتثال لشرعه ، والاحتكام لدينه ..

فإذا تحققت كان النصر الكبير ، والفتح المبين ..

كما أن هناك مبشرات أخبر عن وقوعها من لا ينطق عن الهوى ، وسوف تقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

● **أما المبشرات المرتبطة بشرط المناصرة لله ..**

فإنها أكثر أن تحصى ، وسنقتطف منها :

– يقول الله تعالى في سورة النور : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١) .

فوعد الاستخلاف في الأرض مرهون بالإيمان والعمل الصالح ، والتزام منهج الله ..

– ويقول الله سبحانه في سورة الحج : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٢) .

التمكين في الأرض مرهون بمناصرة الله ، والتزام منهجه ..

– ويقول الله سبحانه في سورة محمد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٣) .

الانتصار في المعارك وتثبيت الأقدام .. مرهون بمناصرة الله ، والتزام منهجه ..

– ويقول الله سبحانه في سورة الروم : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

الانتصار هنا مرهون بالإيمان الراسخ ، والالتزام الكامل ..

فهذه الآيات وغيرها تبشر المؤمنين في كل زمان ومكان بالنصر إذا كانوا مؤمنين

---

(١) سورة النور آية : ٥٥ .
(٢) سورة الحج آية : ٤٠ – ٤١ .
(٣) سورة محمد آية : ٧ .
(٤) سورة الروم آية : ٤٧ .

حقًّا ، ومسلمين صدقًا ، وملتزمين للدين الذي أنزله الله ، ومنفذين للمنهج الذي شرعه الله .. والله سبحانه لا يخلف الميعاد .

● وأما المبشرات التي أخبر عن وقوعها من لا ينطق عن الهوى :

– روى الشيخان وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » (١) ، وبلفظ آخر : « لا يزال هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » (٢) .. وورد بروايات أخرى غير هذه الألفاظ ، فهذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على وجود طائفة من المؤمنين ظاهرة على الحق حتى قيام الساعة .. وأن هذه الطائفة في صراع دائم مع الباطل ، وإذا خبا نور الحق يومًا فإنه لابد من إشعاعه وانطلاقته مرة أخرى ، فمن ظلمات اليأس ينبثق نور الأمل ، ومن دياجير القنوط يبزغ فجر التفاؤل ، وإن جندنا لهم الغالبون .

– وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، ولعدوِّهم قاهرين ، لا يضرُّهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس .. » (٣) ؛ وروى البزار عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصري ، فعمد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام » (٤) ؛ وروى أحمد والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « طوبى للشام فإن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها » ، وفي رواية : « لم يظهر منافقوها على مؤمنيها » (٥) .

من خلال هذه الأحاديث الصحيحة يتبين أن ساحة الجهاد في إقامة دولة الإسلام هي بلاد الشام ، وأكناف بيت المقدس .. وهذه بشارة أخرى من رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أن الإسلام لابد أن يحكم ، وأن فلسطين لابد أن تتحرر ،

(١) أخرجه : ابن ماجة في السنن (٦) وأحمد في مسنده ٤/١٠٤ ، والحاكم في المستدرك ٤/٤٤٩ .
(٢) أخرجه : الطبراني في الكبير ٢/٢٦٥ ، والألباني في الصحيحة (٩٦٣) .
(٣) أخرجه : البخاري في التوحيد (٧٤٥٩) والترمذي في السنن (٢١٩٢) .
(٤) ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٦/٤٤٧ ، والطبراني في الكبير ١٠/٦٠ .
(٥) أخرجه : الترمذي (٣٩٥٤) وأحمد في مسنده ٥/١٨٤ .

وأن الدولة الإسلامية لابد أن تعود .. وها هي ذي الظواهر تلوح بالأفق تبشر بنصر قريب بإذنه تعالى .

- وروى الدارمي وأحمد وابن أبي شيبة .. عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد اللّه ابن عمرو بن العاص ، وسئل أي المدينتين تفتح أولًا القسطنطينية أم رومية ؟ [(١)] ، فدعى عبد اللّه بصندوق له حِلَق ، قال : فأخرج كتابًا ، فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول اللّه ﷺ نكتب إذ سئل رسول اللّه ﷺ أي المدينتين تفتح أولًا ؟ فقال : مدينة هرقل « يعني القسطنطينية » [(٢)] .

وقد تحقق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني « محمد الفاتح » رحمه الله عام /١٤٥٣م ، أي بعد /٨٠٠/ سنة تقريبًا من إخبار النبي ﷺ ، وسيتحقق الفتح الثاني لا محالة بإذنه تعالى ، ويسألونك متى هو ؟ فقل عسى أن يكون قريبًا ..

وهذا الحديث يدل على أن هذا الدين لابد أن ينتصر وأن هذا الإسلام لابد أن ينتشر ، وأن المسلمين سيخوضون لا محالة معارك مع أعدائهم على جبهات متعددة ، وأنهم سيخرجون منها مكللين بأكاليل النصر المؤزر ، والفتح المبين !!.

- وروى الإمام أحمد والبزار والطيالسي .. قال الهيثمي : « ورجاله رجال الثقات » .

عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أول دينكم نبوة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء اللّه أن تكون ثم يرفعها اللّه جلّ جلاله ؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون فيكم ما شاء اللّه أن تكون ثم يرفعها اللّه جل جلاله ؛ ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء اللّه أن يكون ثم يرفعه اللّه جلّ جلاله ؛ ثم يكون ملكًا جبريًّا فيكون ما شاء اللّه أن يكون ثم يرفعه اللّه جل جلاله ؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ﷺ ، ويُلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدرارًا ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئًا إلا أخرجته » [(٣)] .

---

(١) القسطنطينية : بيزنطة أو « استانبول » حاليًا ، رومية : المقصود بها « روما » عاصمة إيطاليا اليوم .

(٢) أخرجه : أحمد ١٧٦/٢ ، والدارمي في السنن ١٢٦/١ ، والحاكم في المستدرك ٤٢٢/٤ ، والألباني في الصحيحة (٤) .

(٣) أخرجه : الدارمي في الأشربة (٨) وأحمد في مسنده ٢٧٣/٤ .

فالذي يبدو من الواقع أن الملك العاض قد انتهى بانتهاء السلطنة العثمانية ، والآن جاء دور الملك الجبري ، ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكم بدون رأي الأمة ، وغصبًا عن إرادة الشعب ؛ دكتاتوريات بدأها « أتاتورك » في تركيا ، وتتابعت في كل مكان ؛ ولكن دلائل اليقظة الإسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول أبدًا ؛ وسيأتي اليوم الذي ستكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامة ، على سنن الإسلام .. ولعل ذلك يكون قريبًا إن شاء اللّٰه .

وإني متفائل أن هذا كله سيتحقق غدًا بعونه تعالى وعلى أيدي الشباب ، وعزائم الرجال ، وجهاد العلماء ، وبذل الأغنياء .. وإن غدًا لناظره لقريب .

– وروى مسلم وأحمد وأصحاب السنن إلا النسائي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن اللّٰه زوى لي الأرض (أي ضمها وجمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » [1] ؛ وفي الحديث الذي رواه ابن حبان : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار وبعز عزيز ، وبذل ذليل ، عزًّا يعز اللّٰه به الإسلام ، وذلًّا يذل به الكفر » [2] .

فهذان الحديثان يؤكدان حتمية رجوع الإسلام إلى مركز الريادة ، وموضع القيادة ، ومقام السيادة .. من شرق الدنيا إلى غربها ، لتتحقق إرادة اللّٰه التي اقتضاها لأمة الإسلام منذ الأزل ..

– وروى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهود من وراء الشجر والحجر ، فيقول الشجر والحجر : يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » [3] .

قد أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة ، وأنهم سيجتمعون في مكان واحد ، ثم يتسلط عليهم المسلمون ، ويضعون فيهم السيف ، ويناديهم كل شيء حتى الحجر والشجر ..

وها هم الآن يجتمعون في فلسطين ، وسيكون هلاكهم بعونه تعالى على أيدي

(١) أخرجه : مسلم في الفتن (١٩) وأبو داود في السنن (٤٢٥٢) والترمذي في السنن (٢١٧٦) وأحمد في مسنده ٥/٢٨٤ .

(٢) أخرجه : أحمد في مسنده ١٠٣/٤ ، والحاكم في المستدرك ٤٣٠/٤ ، والبيهقي في السنن ١٨١/٩ .

(٣) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ومسلم في الفتن (٨٢) وأحمد في مسنده ٤١٧/٢ .

المؤمنين الصادقين الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود اللّه ..

هذه المعجزة كما تحققت أوائلها في سيل التجمع الذي تصطنعه اليوم إسرائيل ؛ فسيتحقق أواخرها بإذنه تعالى في حرب قادمة ، يقوده جحافلها عباد مؤمنون ، ومسلمون صادقون .. سوف يعلم العالم نبأها بعد حين ..

* * *

فإذا كان اليأس في دين اللّه حرامًا ..

وإذا كان التاريخ أثبت في صفحاته أن للأمم التواقة إلى المجد انتفاضات وانتصارات .

وإذا كان الرسول ﷺ بشّر في أحاديثه أن أمة الإسلام مهما أصابها من أحداث ستبلغ لا محالة قمة المجد ، وذروة العز ، وغاية القوة والسيادة ..

إذا كان الأمر كذلك فلماذا يتملك الناس اليأس ويستحوذ عليهم القنوط ؟

ولماذا يصيب المسلمين الخوف وينتابهم الجبن ؟

ولماذا لا تسعى أمة الإسلام إلى مجد مؤثل ، وعزة منيعة ، وسيادة رائدة ؟

المسلم حين يخوض معارك الجهاد – كما يقرر القرآن الكريم – فإنه يتربص إحدى الحسنيين : إما نصرًا ليعيش في الحياة عزيزًا كريمًا ، وإما شهادة ليحيا عند ربه منعمًا محمودًا ..

ولنستمع إلى ما يقوله ﷻ في سورة التوبة : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [1] .

ورحم اللّه من قال :

ونحن أناس لا توسُط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ورحم اللّه شهيد الإسلام سيد قطب إذ يقول :

سأثأر لكن لربٍّ ودين وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام وإما إلى اللّه في الخالدين

(١) سورة التوبة آية : ٥٢ .

فعلى شباب الإسلام في كل مكان أن يحرروا أنفسهم من اليأس والقنوط ، وأن يطهروها من الجبن والخوف .. وأن يقبلوا على الجهاد من أجل القضية الفلسطينية .. حين يدعوهم داعي الجهاد ، وحين ترفع الرايات من أجل إعلاء كلمة اللّٰه ، وحين يأتي اليوم الذي يدخل فيه الحكام المعارك باسم الإسلام ..

واللّٰه سبحانه يتولى المؤمنين المخلصين ، الذين يثأرون لربّ ودين ، ويجاهدون في سبيل اللّٰه من أجل تحرير القدس وفلسطين ..

* * *

الفصل الرابع

أجوبة على تساؤلات

هناك بعض التساؤلات ترتبط بالقضية الفلسطينية يثيرها بين الحين والحين جماعة من اليهود ، أو بعض الذين في قلوبهم مرض ممن ينتسبون إلى الإسلام ، أو بعض المستفسرين عن الحقيقة الذين يريدون أن يزيلوا عن أنفسهم ما علق بها من غشاوات الشبه ..

من أجل هذا أحببت أن أخصص فصلًا مستقلًّا أجيب فيه بكل صراحة ووضوح على كل تساؤل يثيره الناس علمًا أو جهلًا ، خطأ أو قصدًا ..

حتى لا يبقى - بعد تبيان الحقيقة - في نفس أي متأثر ريبة أو شك ، وحتى لا تدور في عقل أي مستفسر شبهة أو التباس ؟!!.

وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمد العون والتوفيق ..

* * *

السؤال الأول على لسان اليهود :

لماذ يقف الناس - وعلى الأخص العرب - من قضيتنا الفلسطينية العادلة موقف المعاداة ، ونحن أصحاب الحق التاريخي المتوارث من لدن أنبياء بني إسرائيل إلى زماننا هذا إلى يوم البعث والنشور ؟.

وللرد على هذا الادعاء يكون من وجوه :

١ - في زمن موسى ﷺ أهلك الله من كفر منهم بالعذاب الرجز ، وبمسخهم إلى قردة وخنازير ..

وهذه حقيقة قررها الله ﷻ في سورة الأعراف :

- ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

- ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

---

(١) سورة البقرة آية : ٥٩ .

بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

- ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (٢) .

٢ - بعد موسى عليه السلام قطعهم الله عز وجل أممًا ، وجماعات مختلفة المذاهب والتصورات ، متباينة المشارب والمسالك .. منهم الصالحون ومنهم الكافرون .

وقد أثبت الله هذه الحقيقة في سورة الأعراف : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ (٣) .

٣ - نسخ الله ديانتهم ببعثة عيسى عليه السلام إليهم ، قال تعالى في سورة الصف : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

الذين قالوا هذا سحر هم الكافرون منهم ، وهذا لا يمنع أن يكون منهم مؤمنون ، بدليل قوله تعالى في سورة الصف نفسها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ﴾ (٥) .

وسبق أن ذكرنا أن أكثر أهالي فلسطين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يدينون بالعقيدة المسيحية ، وهذا مما يؤكد أن فئة من اليهود التي كانت تستوطن فلسطين اعتنقت المسيحية بعد بعثة عيسى عليه السلام ، وظلوا على هذه الحال إلى أن أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

٤ - نسخ الله ديانة موسى وعيسى عليهما السلام ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوجب على كل يهودي أو نصراني أن يعتنق الدين الجديد ..

قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٦ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٨ .
(٤) سورة الصف آية : ٦ .
(٥) سورة الصف آية : ١٤ .

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

فهذا النص يقرر بما لا يحتمل الشك أن الذين اتبعوا محمدًا ﷺ من اليهود والنصارى هم الذين وجدوا أوصافه ومعالم التبشير به مكتوبة في التوراة والإنجيل فآمنوا به عن قناعة وإيمان ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه .. وهذا دليل قاطع على أن رسالة الإسلام نسخت الديانات السابقة ، وأن الدين الجديد سيظهر على الدين كله ..

وسبق أن ذكرنا أن معظم أهالي فلسطين كانوا يدينون بالمسيحية قبل بعثة النبي ﷺ ، وقد دخلوا في الإسلام - بعد الصلح والمعاهدة - عن قناعة وطواعية واختيار لسببين :

الأول - لتبشير الأناجيل بالنبي ﷺ .

الثاني - للمعاملة الرحيمة السمحة التي كانوا يلقونها من المسلمين .

وقد جاء ذكر ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب مع الشرح والبيان والتفصيل .

وسبق أن بينا أيضًا أن طائفة من اليهود قد أسلمت في عهد النبي ﷺ لكونها وجدت أوصاف النبي ﷺ مطابقة لما جاء في التوراة كأمثال عبد الله بن سلام ، وزيد بن سعنه .. وغيرهما ﷺ .

وهذا أيضًا يؤكد أن الإسلام نسخ الشرائع السماوية ، وألزم كل إنسان بلغته الدعوة الإسلامية أن يؤمن بها ، ويدخل فيها عن إيمان وقناعة من غير إجبار ولا إكراه ..

بعد هذا البيان نقول :

أين الحقّ التاريخي الذي يتقوّلونه ؟

وأين القضية العادلة التي يدّعونها ؟

أليس الله سبحانه قد أهلك معظمهم في عهد موسى بعد أن ظلموا وجحدوا ؟

أليس الله تعالى قد قطعهم في الأرض أممًا مشتتين مفرقين ؟

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

أليس مَنْ عرف الحق منهم اتبعوا عيسى عليه السلام حين أرسله الله إليهم ؟

أليس السواد الأعظم من أهالي فلسطين كانوا نصارى قبل بعثة النبي ﷺ ؟

أليس مَنْ عرف الحق من أهل فلسطين قد دخلوا في الإسلام - بعد بعثة النبي ﷺ - عن قناعة وطواعية واختيار ؟

إذا كان الأمر كذلك فأين مكان دعواهم وتقوّلهم من الحقيقة ؟

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

فالذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن ادعاء اليهود بأن أرض فلسطين هي أرض أسلافهم توارثوها عنهم كابرًا عن كابر ؛ هذه الدعوة محض كذب وافتراء لا تدل عليها النصوص ، ولا يؤيدها الواقع ، ولا تسندها الحقائق التاريخية ..

بل التاريخ أثبت أن أرض فلسطين هي أرض إسلامية ؛ لإسلام أهلها بعد الصلح والمعاهدة في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه ، وقد انتقلت من الآباء إلى الأحفاد بإرث شرعي إلى زماننا هذا ، وأن اليهود في هذا القرن اغتصبوها من المسلمين ظلمًا وعدوانًا ..

وليس بيننا وبينهم لردّ هذا الحق المغتصب سوى السيف حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (١) .

* * *

السؤال الثاني على لسان الذين في قلوبهم مرض :

لماذا نعادي اليهود هذه المعاداة ؟

أليسوا ينتسبون إلى إسحق ، وإسحق ابن إبراهيم عليه السلام ؟

ألسنا نحن العرب ننتسب إلى إسماعيل ، وإسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام ؟

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩١ .

فلماذا لا نتوافق ونحن وإياهم أبناء عم ؟

ولماذا لا نتصالح ونحن وإياهم من جدّ واحد ؟

ولو كانت قضيتهم غير عادلة لانتصرنا عليهم في حروبنا معهم ؟

نعم لا ننكر بأننا نحن وإياهم أبناء عمّ ، ولا نفتئت على الحقيقة حين نسلّم أننا وإياهم ننحدر من جدّ واحد وهو إبراهيم عليه السلام !!.

ولكننا ننكر أشد الإنكار أنهم أصحاب حق ..

بل ننادي بأعلى صوتنا أنهم أهل اعتداء وبغي وظلم ..

أيّ عاقل يقول : يجوز لابن العم أن يغتصب دار ابن عمه بحجة القرابة ؟

وأيّ إنسان يدّعي : يباح للأخ أن يسطو على أرض أخيه بدعوى النسب ؟

فإذا كان لا يجوز ولا يباح فهل يصح عقلاً وشرعًا أن نترك اليهود يغتصبون ويعتدون ثم نتشدق بالوفاق والمصالحة بحجة أننا وإياهم أبناء عم ، وأحفاد جدٍّ ؟

يقول القرآن الكريم في سورة الحجرات : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

إذا كان القرآن الكريم يوجب على المؤمنين أن يقاتلوا الفئة الباغية إذا تمادت في بغيها وأصرت على ظلمها .. فكيف إذا كانت هذه الفئة غير مؤمنة ؟ وكيف إذا كانت مغتصبة ظالمة ؟ وكيف إذا كانت متصفة بالمكر ، ومعروفة بالفساد .. على مدار التاريخ ، وخلال العصور ؟ وكيف إذا كانت لا ترقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة ؟ وكيف إذا وصفها الله عز وجل بأنها أشد عداوة للذين آمنوا ؟

فلاشك أن قتالها واستئصالها وتطهير المجتمعات الإنسانية منها .. يتوجب من باب أولى !..

ويقول في سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ (٢) .

بناء على هذا النص أُذِنَ للمؤمنين أن يقاتلوا اليهود لكونهم اغتصبوا أرضهم

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٢) سورة الحج آية : ٣٩ – ٤٠ .

ظلمًا، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، وشرّدوا الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال .. بلا رادع من دين ولا زاجر من ضمير ..

فكيف نتوافق معهم وهذا ظلمهم ؟ وكيف نناديهم بأبناء عمّ وهذا بغيهم ؟ وكيف نصالحهم وهذه أفعالهم القبيحة وآثامهم ؟ .

ويقول في سورة النساء : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (١) .

في هذا النص إلزام صريح واضح للمؤمنين أن يقاتلوا ببسالة من ساموا المسلمين سوء العذاب، ونكلوا بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .. أفظع تنكيل؛ واغتصبوا الأراضي من أهلها علوًّا وظلمًا واستكبارًا، وانتهكوا الحرمات، وفعلوا الأفاعيل، وجعلوا أعزة أهالي البلاد أذلة ..!!.

فكيف نوقع معاهدة السلام مع اليهود وهذا هو اغتصابهم واستكبارهم ؟ وكيف نقبل أن نعايشهم سلمًا، ونفاوضهم صلحًا .. وهذا هو علوّهم وتنكيلهم ..؟!!.

هذا وأن القرآن الكريم، يأمر بالتبرّئ من كل ماكرٍ فاجرٍ أفاك .. ولو كان ابنًا أو أبًا أو أخًا ..

فلنستمع إلى ما يقوله الله سبحانه في هذا التنصل والتبرّؤ :

– يقول الله تعالى في سورة هود : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (٢) .. ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٣) .

– ويقول في سورة التوبة : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانَ

(١) سورة النساء آية : ٧٥ . (٢) سورة هود آية : ٤٢ – ٤٣ .

(٣) سورة هود آية : ٤٥ – ٤٦ .

ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

– ويقول في سورة التوبة أيضًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢) .

فهل يجوز – بعد هذا البيان – أن نقول عن اليهود إننا وإياهم أبناء عمّ ، وأحفاد جد .. بعد أن تحقق كفرهم ، وتبين لكل ذي عينين مكرهم وفسادهم ؟.

وللحقيقة أقول :

إن كل من وقع الصلح مع اليهود ، أو سيسعى – في التفاوض معهم – إلى تفاهم أو وفاق ، أو يلقي إليهم بالمودة – على أسس غير مشرفة ولا تحفظ للأمة كرامتها – فإنه يستحق غضب اللّه ، ولعنة الأجيال ، وازدراء التاريخ .. إلى يوم البعث والنشور .

وصدق اللّه العظيم القائل في سورة الممتحنة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (٣) .

والقائل في سورة المجادلة : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٤) .

ثم ماذا عن قضية انتصار اليهود علينا ؟

نعم إنهم انتصروا علينا في الحروب الأربعة الماضية ، ولكن هل معنى هذا الانتصار أنهم على حق ، وأن قضيتهم عادلة ؟.

الإسلام وضع أمام المسلمين سننًا للنصر ، فإن حققوا هذه السنن فاللّه سبحانه ينصرهم على أعدائهم مهما كان هؤلاء الأعداء كثرة في العدد ، وأقوياء في العدة ..

– فمن سنن النصر التزام المسلمين منهج اللّه في الرخاء والشدة ، والسلم والحرب ..

قال تعالى في سورة النور : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

(١) سورة التوبة آية : ١١٣ – ١١٤ .
(٢) سورة التوبة آية : ٢٣ .
(٣) سورة الممتحنة آية : ١ .
(٤) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ (١) .

– ومن سنن النصر كراهية الدنيا وحب الموت ..

روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : ومن قلة نحن يؤمئذ يا رسول اللّه ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن اللّه من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول اللّه ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (٢) .

– ومن سنن النصر القتال من أجل إعلاء كلمة اللّه ، قال تعالى في سورة النساء : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ (٣) .

– ومن سنن النصر الاحتراس من المعاصي والذنوب والآثام ..

وهذا ما جاء في وصية عمر بن الخطاب ﷺ قائده سعد بن أبي وقاص حين وجهه إلى فتح فارس : [أما بعد : فإني أوصيك ومَنْ معك من الأجناد بتقوى اللّه على كل حال ، فإن تقوى اللّه أفضل العدة على العدوّ ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوِّكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوِّهم ..] .

– ومن سنن النصر إعداد القوة سواء أكانت معنوية أم مادية ؟

قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ (٤) .

تلكم أهم سنن النصر التي أمر الإسلام بها وحض عليها ..

– فهل كان المسلمون في – حروبهم الأربعة – ملتزمين منهج اللّه ومنفذين لمبادئ دينه ونظام شرعه ؟

وهل كانوا متخلين عن الدنيا ، مقبلين على الموت والشهادة في سبيل اللّه ؟

وهل كانوا محترسين من المعاصي والذنوب قبل هذه الحروب وبعدها ؟

---

(١) سورة النور آية : ٥٥ .

(٢) أخرجه : أبو داود في السنن (٤٢٩٧) وأحمد في مسنده ٢٧٨/٥ ، والألباني في الصحيحة (٩٥٨) .

(٣) سورة النساء آية : ٧٦ .

(٤) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

وهل كانوا على مستوى أفضل من الإعداد الحربي والتكوين العسكري ؟

فإذا كان الجواب لا ، فكيف ينتصرون على أعدائهم ، وكيف يحررون الأرض المقدسة من براثن يهود ؟ وكيف يخلّصون المسجد الأقصى من سيطرة إسرائيل ؟

سبق أن ذكرنا أن المسلمين في غزوة حنين حين اعتزّوا بالقوة ، واغترّوا بالكثرة ، وغفلوا عن حقيقة أن صانع النصر هو اللّه وحده ، هزمهم اللّه في بدء المعركة ، وسجل القرآن هزيمتهم .. ليُري الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان أن الذي يخلق النصر ، ويهزم الأعداء هو اللّه سبحانه ، لا الكثرة تنفع ، ولا القوم تُجدي ، ولا الاستعداد الكبير يصنع شيئًا .. إذا لم يكن المؤمنون بعد الأخذ بالأسباب واثقين بنصر اللّه ، مستغيثين به ، معتمدين عليه .. ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

فمن البديهي – بعد الذي ذكرناه – أن يُهزم العرب في حروبهم ، وأن ينتصر اليهود عليهم ، لكونهم لم يحققوا في أنفسهم ، ولا في جيوشهم .. سنن النصر ، ومبادئ الإسلام ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين – في كل حرب يخوضونها – إذا كانوا مستوين مع أعدائهم في المعصية والإثم .. فإن الغلبة حتمًا تكون لعدوِّهم ، لأن عدوَّهم دائمًا هو أعظم منهم قوة ، وأكثر عددًا وعدة ..

وهذه الحقيقة قررها الفاروق عمر ﷺ في الوصية التي أرسلها إلى قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ ، فممّا جاء في الوصية : [.. **وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوِّهم للّه ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا نحن وإياهم في المعصية كان لهم فضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا** ..] .

ومن هنا نعلم أن هذه الهزائم والنكسات التي أصبنا بها في كل المعارك التي خضناها مع اليهود .. كانت نتيجة بُعد العرب عن اللّه ، وتنكرهم للإسلام ، وانغماسهم في المعاصي والذنوب والآثام .. وهزيمة الروح والخلق التي مُني بها شبابنا وشابّاتنا في هذا العصر الذي تفاقم شره ، واستفحل فجوره ومجونه !!.

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٠ .

وصدق أمير المؤمنين عمر ﷺ إذ يقول : « **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** » .

وهنا تسقط دعوى من يقول : لو كانت قضية اليهود غير عادلة لانتصر العرب عليهم في حروبهم الأربعة !!.

وفي تقديري أن الذين يروّجون هذه الدعاوى هم يهود أو عملاء يهود أو ممن يناصرون اليهود ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١) .

* * *

السؤال الثالث على لسان الذين يريدون أن يستفسروا عن الحقيقة :

ما المانع أن نصالح إسرائيل ، ونعقد معها الآن اتفاقية سلام تأسّيًا بالنبي ﷺ الذي عقد معاهدتي صلح : مع اليهود في المدينة ومع المشركين في مكة ؟.

وإذا أتيح للمسلمين أن يخوضوا الحرب باسم الإسلام ، فكيف تكون حربهم لإسرائيل هل هي حرب استئصال وإخراج أم هي حرب مقتصرة على تحرير الأرض المقدسة والمسجد الأقصى ؟.

- **أما فيما يتعلق في الشق الأول من السؤال فأقول :**

صحيح أن النبي ﷺ أبرم في عصره معاهدتي صلح : أولاهما مع اليهود في المدينة ، وثانيهما مع المشركين في مكة .. ولكن يوجد فرق كبير ، وتباين عظيم بين ملابسة الصلح اليوم ، وبين ملابسة الصلح بالأمس !!.

فملابسة الصلح بالأمس كانت لصالح المسلمين ، بل كان هدفها تطهير أرض المدينة من رجس اليهود ، وتطهير أرض مكة من رجس المشركين .

وسبق أن ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن النبي ﷺ عقد - بعد هجرته - مع اليهود صلحًا على أن لا يخونوا العهد ، وأن لا يؤلبوا أحدًا من الأعداء على المسلمين ؛ وكان عليه الصلاة والسلام في هذه الآونة يجادلهم بالتي هي أحسن ، ويدعوهم إلى الإيمان بالكتب المنزلة ، والإيمان بالرسل جميعًا ، ويذكرهم بنعمة الله عليهم رجاء أن يوفوا بالعهد ، ويذعنوا للحق ، ويدخلوا في الإسلام

---

(١) سورة الكهف آية : ٥ .

طائعين مختارين ..

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن نكثوا بالعهد ، وقاموا بزرع الفتن ، وألّبو أعداء الإسلام على المسلمين ..

ولما تبين للنبي ﷺ أن وجودهم في المدينة يكون سبب فتنة ، ومبعث تآمر عندئذ اتخذ في حقهم هذه المواقف التي سبق أن بيناها في الفصل الثاني من هذا الكتاب : –

– من هذه المواقف أمره عليه الصلاة والسلام باغتيال رؤوس الشر والفساد منهم .

– من هذه المواقف أمره ﷺ لفئات كثيرة منهم بالجلاء التام عن المدينة .

– من هذه المواقف موافقته ﷺ على قتل بعضهم جزاء غدرهم وخيانتهم .. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ؟!!.

وهكذا تطهرت المدينة من فسادهم ورجسهم ، وتحررت أرض الحجاز من بغيهم ومكرهم ..

أما عن ملابسة صلح الحديبية :

فإنها كانت تخطيطًا وإرهاصًا لفتح مكة .. وفعلًا لم يمض بضع سنوات على صلح الحديبية ، حتى تم للنبي ﷺ الفتح الأكبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، ودانت الجزيرة العربية وما حولها لدولة الإسلام الفتية العزيزة التي كان يرأسها النبي ﷺ .

أين هذا ممن ينادون بالصلح اليوم ؟

هل يجوز لهم أن ينادوا بالصلح ، والأرض التي يصالحون عليها مغتصبة ؟

هل مناداتهم بالتعايش السلمي من أجل إخراجهم في المستقبل من أرض فلسطين ؟

هل اتفاقيات السلام التي أبرمت من أجل تخطيط تحرير ، وإرهاصات نصر ؟

فإذا كان الجواب لا .. فلماذا يتبجحون بالسلام ، ويتشدقون بالصلح ؟

على فرض أنه جاز لهم أن يوقعوا مع العدو معاهدة هدنة واتفاقية صلح .. فبمجرد أن ينقض الأعداء العهد فعلى المسلمين أن ينبذوا إليهم عهدهم ، ثم يقاتلوهم ويستأصلوهم حتى النصر .. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (١) .

فكم مرة نقض اليهود الهدنة ، وخانوا العهد ، واعتدوا على الآمنين الوادعين ؟!!.

فماذا فعل الذين يتبجحون بتحرير فلسطين ؟ هل نبذوا لهم عهدهم ؟

هل قاتلوا أئمة الكفر ؟ هل حرروا الأرض المقدسة ؟ لا ، إنهم يتقنون فقط فن الكلام ، وأسلوب التهديد والوعيد لا غير .

وما رأيناهم فعلوا شيئًا أو سيفعلون شيئًا ، بل الأمور دائمًا تمشي لصالح إسرائيل ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وسبق أن ألمحنا أن أي اتفاق أو صلح .. يؤدي إلى تعايش سلمي بيننا وبين اليهود ، فإنه يفضي في النهاية حتمًا لصالح إسرائيل ، وتنفيذ مخططهم الأكبر من الفرات إلى النيل ، ويفضي أيضًا إلى إنشاء قواعد عسكرية في قلب البلاد العربية للدول الكبرى التي صنعت إسرائيل ..

إلى غير ذلك من هذه الأخطار التي سبق أن ذكرناها وفصلنا فيها .

هل أدركت – أخي السائل – الفرق الكبير بين ملابسة الصلح الذي أبرمه النبي ﷺ ، وبين ملابسة الصلح الذي أبرموه حاليًا ويحاول أن يسعى إلى تحقيقه بعض المرتبطين بالماسونية العالمية ؟!!.

● **أما فيما يتعلق في الشق الثاني من السؤال فأقول :**

حين يتاح للمسلمين أن يدخلوا المعركة ضد اليهود باسم الإسلام فيجب أن تكون حربهم حرب استئصال وإخراج حتى تحرير آخر شبر من الأرض الفلسطينية المغتصبة .

ذلك لأن اليهود منذ أن رفض السلطان عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يأذن لهم بالهجرة إلى فلسطين .. منذ ذلك اليوم استعانوا بكل الوسائل والأساليب ، وأنواع الدس والكذب والإغراء .. واستعانوا بكل القوى العالمية ، وجميع المنظمات الماسونية .. حتى وصلوا إلى غرضهم الخبيث ؛ فأسسوا لأنفسهم – في زمن غير طويل – وطنًا قوميًا ، وأقاموا في ربوع فلسطين ، وأرض الإسراء والمعراج دولتهم المزعومة ..

إذن فهم معتدون ، وهم مغتصبون ، وهم ظالمون .. فمن أبسط بديهيات الحق ، والمنطق

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢ .

والعدل أن تحرر الأرض الفلسطينية من ظلمهم واغتصابهم ، وأن يُرد الحق السليب إلى أهله ، وأن يعود الآلاف من أبناء فلسطين إلى ديارهم وأراضيهم معزّزين مكرمين !!.

فالحرب بيننا وبين اليهود إذن حرب استئصال حتى يتحرر آخر شبر من أرض فلسطين ، وتعود هذه الديار المغتصبة إلى المسلمين !!.

نعم في حال وجود يهود كانوا موجودين في فلسطين قبل حرب / ١٩٤٨ / ، وثبت يقينًا أنهم مواطنون منذ القدم .. فالإسلام يعتبر وجود هؤلاء أهل ذمة لهم حقوقهم وذمتهم وحريتهم وعبادتهم .. ولهم أن يعيشوا في كنف المسلمين آمنين مطمئنين ما استقاموا وما داموا على العهد .

﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

أما ما نسمعه من بعض الذين يتبجحون بالدفاع عن فلسطين وأنهم بدعواهم أوصياء أمناء على حقوق الفلسطينيين .. فهؤلاء في الحقيقة يعترفون - من حيث يعلمون أو لا يعلمون - بوجود إسرائيل ، ودولة إسرائيل ، وسيادة إسرائيل .. لأنهم أعلنوا أكثر من مرة في خطبهم الرنانة ، وتصريحاتهم الطنانة .. أنهم مستعدون للتفاوض والتفاهم إذا انسحبت إسرائيل من الأراضي التي احتلوها في حرب /١٩٦٧/ .

ومعنى هذا الكلام أنهم مستعدون أن يوقعوا مع إسرائيل معاهدة السلام أو التعايش السلمي إذا نفذت إسرائيل هذا الشرط ، وأخذت بمقررات مجلس الأمن .. ومعنى هذا الكلام أيضًا أنهم مستعدون أن ينهوا الحرب بينهم وبين إسرائيل ليعيشوا معها في أمن وسلام واستقرار ..

ما الفرق إذن بين من اشترط على إسرائيل أن تنسحب من سيناء ، وأن تعترف بالحكم الذاتي للفلسطينيين ..

وبين يشترطون على إسرائيل أن تنسحب من الأراضي التي احتلوها في حرب /١٩٦٧/ .

إذن فالمضمون واحد من حيث الاشتراط والنتيجة واحدة من حيث الاعتراف !!.

---

(١) سورة التوبة آية : ٧ .

الفصل الخامس

خاتمة المطاف

ولكن من هؤلاء الذين يحملون أمام إسرائيل السلاح ، ويحررون الأرض المقدسة ويجاهدون في اللّه حق جهاده ؟

إنهم الذين عناهم اللّه ﷻ في هذا النص الخالد :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)] .

يقول شهيد الإسلام « سيد قطب » رحمه الله في توضيح هذا النص ، وفي مواصفات أمة الجهاد : [.. هذه هي الجماعة المؤمنة التي عقد اللّه معها بيعته ، وأمضى صفقته .. وهذه هي صفاتها ومميزاتها : توبة ترد العبد إلى اللّه ، وتكفه عن الذنب ، وتدفعه إلى العمل الصالح ؛ وعبادة تصله باللّه وتجعل اللّه معبوده وغايته ووجهته ؛ وحَمْدَ للّه على السّراء والضراء نتيجة الاستسلام الكامل للّه ، والثقة المطلقة برحمته وعدله ؛ وسياحته في ملكوت اللّه مع آيات اللّه الناطقة في الكون الدالة على الحكمة والحق في تصميم الخلق ؛ وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة ؛ وحفظ لحدود اللّه يرد عنها العادين والمضيّعين ، ويصونها من التهجم والانتهاك ..

هذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها اللّه على الجنة ، واشترى منها الأنفس والأموال ، لتمضي مع سنة اللّه الجارية منذ كان دين اللّه ورسله ورسالاته .. قتال في سبيل اللّه لإعلاء كلمة اللّه ؛ وقتل لأعداء اللّه الذين يحادون اللّه ، أو استشهاد في المعركة التي لا تفتر بين الحق والباطل ، وبين الإسلام والجاهلية ، وبين الشريعة والطاغوت ، وبين الهدى والضلال .. وليست الحياة لهوًا ولعبًا ، وليست الحياة أكلًا كما تأكل الأنعام ومتاعًا ، وليست الحياة سلامة ذليلة ، وراحة بليدة ، ورضى

---

(١) سورة التوبة آية : ١١١ - ١١٢ .

بالسلم الرخيصة ..

إنما الحياة في هذه : كفاح في سبيل الحق ، وجهاد في سبيل الخير ، وانتصار لإعلاء كلمة الله ، أو استشهاد كذلك في سبيل الله .. ثم الجنة والرضوان ..

هذه هي الحياة التي يُدعى إليها المؤمنون بالله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ (١) .

ولقد كانت هذه الكلمات تطرق قلوب مستمعيها الأولين – على عهد رسول الله ﷺ فتتحول من فورها في القلوب المؤمنة إلى واقع من واقع حياتهم ؛ ولم تكن مجرد معانٍ يتأملونها بأذهانهم ، أو يحسونها مجردة في مشاعرهم .

كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها ، لتحويلها إلى حركة منظورة ، لا إلى صورة متأملة .. هكذا أدركها « عبد الله بن رواحة » ﷺ في بيعة العقبة الثانية . قال : « محمد بن كعب القرظي » وغيره ، قال عبد الله بن رواحة ﷺ لرسول الله ﷺ (يعني ليلة العقبة) : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني بما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » ، وقال : فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك ؟ قال : « الجنة » قالوا : ربح البيع ، ولا نقيل ولا نستقيل (٢) . فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ (٣) .

هكذا .. « ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل » .. لقد أخذوها صفقة ماضية نافذة بين متبايعين ، انتهى أمرها ، وأمضي عقدها ، ولم يعد إلى مرد من سبيل : « لا نقيل ولا نستقيل » فالصفقة ماضية لا رجعة فيها ولا خيار ؛ والجنة ثمن مقبوض لا موعود !.

أليس الوعد من الله ؟ أليس الله هو المشتري ؟ أليس هو الذي وعد الثمن وعدًا قديمًا في كل كتبه : ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ (٤) .

﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٤ . (٢) لا نختار ولا نرجع .

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥٢٥) والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٨٠ .

(٤ ، ٥) سورة التوبة آية : ١١١ .

أجل : ومن أوفى بعهده من الله ؟

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن .. كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله .. إنها السنة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١) ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

إن الحق لابد أن ينطلق في طريقه ، ولابد أن يقف له الباطل في الطريق !.. بل لابد أن يأخذ عليه الطريق .. إن دين الله لابد أن ينطلق لتحرير البشر من العبودية للعباد وردّهم إلى العبودية لله وحده ، ولابد أن يقف له الطاغوت في الطريق .. بل لابد أن يقطع عليه الطريق .. ولابد لدين الله أن ينطلق في الأرض كلها لتحرير الإنسان كله ؛ ولابد للحق أن يمضي في طريقه ولا ينثني عنه ليدع للباطل طريقًا ! .. (٣) .

ومادام في الأرض كفر ؛ ومادام في الأرض باطل ؛ وما دامت في الأرض عبودية لغير الله تذل كرامة الإنسان فالجهاد في سبيل الله ماض ، والبيعة في عنق كل مؤمن تطالبه بالوفاء ؛ وإلا فليس بالإيمان : « ومن مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق » (٤) .

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه « النكبة الثانية » ص : (٨٩) :

[إني على يقين أن إسرائيل لن تزول ، وفلسطين لن تتحرر إلا على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله الذين يخوضون المعارك أطهارًا متوضئين ، قد تطهرت قلوبهم ، قبل أن تتوضأ أعضاؤهم ، أولئك الذين لا يقف لهم أحد ، ولا تصمد أمامهم قوة إذا نادى فيهم المنادي :

هبّي يا ريح الجنّة .

يا نصر الله اقترب .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥١ . (٢) سورة الحج آية : ٤٠ .

(٣) من كتاب الظلال : تفسير : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم .. » .

(٤) أخرجه : أبو داود في السنن (٢٥٠٢) والنسائي في السنن ٨/٦ ، وأحمد في مسنده ٣٧٤/٢ ، والحاكم في المستدرك ٧٩/٢ .

يا رجال القرآن زينوا القرآن بالفعال ...

أولئك الذين يثورون على التفكير المادي ، ويسخرون من لغة الأرقام ولا يعبأون بما لدى العدوّ من « كم » ، واثقين بما معهم من « كيف » ، قد اتسع أفقهم فتجاوزوا الأرض إلى السماء ، وتخطوا عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، وآمنوا بأنهم إنْ فقدوا ولاية الناس ، ونصرة العالم ، فإن معهم اللّه جلّ شأنه : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [١] ، ومعهم جنود اللّه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٢] ...

أولئك هم الذين ستحرر بهم فلسطين ، وتقتلع بهم جرثومة اليهودية من أرض الإسلام ، ليس لهؤلاء هدف إلا إعلاء كلمة اللّه ، ولا عنوان إلا الإسلام ولا شعار إلا العبودية للّه ، ولا هتاف إلا « اللّه أكبر » ..

وإلى هؤلاء المحاربين المؤمنين أشار النبي ﷺ في حديث له حيث قال : – كما روى الشيخان – : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم ، يا عبد اللّه : هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله » [٣] ..

هؤلاء قتلة اليهود ، ومحررو فلسطين ، إنهم « المسلمون » ، لا الأردنيون ، ولا السوريون ، ولا الفلسطينيون ، ولا العرب ... فقد تخلوا عن هذه العناوين ، ولم يبق لهم عنوان إلا « المسلمون » .

هؤلاء هم الذين تكون الطبيعة كلها في صفهم حتى الحجر والشجر ..

هؤلاء هم الذين يناديهم الحجر والشجر : يا مسلم ، يا عبد اللّه ..

فليس لهم راية إلا الإسلام ، وليس لهم شطر إلا العبودية للّه وحده ..

هذا هو المقاتل الذي ترتجيه الأمة ، وهو الذي سيزيل ملك إسرائيل ، والذي سيقتل اليهود ، وكما نبأنا من لا ينطق عن الهوى إنه « المسلم » المسلم الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان ، واتقدت بين جوانحه شعلة اليقين ، وباع الحياة الدنيا بالآخرة ؛ وليس المسلم « الجغرافي » الذي ورث الإسلام من أبويه كما ورث اسمه ولقبه ، فليس له من الاسم إلا العنوان والتسجيل في شهادة الميلاد !!.

---

(١) سورة النساء آية : ٤٥ . (٢) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٣) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ومسلم في الفتن (٨٢) وأحمد في مسنده ٤١٧/٢ .

إذن إنه المسلم الحقيقي إنه العبد المخلص لله .. أما عبد الشهوات ، عبد المرأة ، عبد الكأس ، عبد الدينار والدرهم ، عبد المبادئ المستوردة من صناعة يهود .. أما هؤلاء فلن يتحقق بهم نصر ، ولن تتحرر بهم أرض ، ولن ترتفع بهم لأمتنا راية ، وليس من ورائهم .. - والله - إلا النكسات والوكسات !!] اهـ .

ولقد ذاق اليهود الويلات في حرب /١٩٤٨/ لما تصدت لهم فرقة مؤمنة تنتمي إلى الحركة الإسلامية صاحبة المآثر والبطولات والتاريخ الأبيض رغم أنف الموتورين والحاقدين .. هذه الفرقة التي سمح لها بعد جهد كانت لا تتجاوز الـ /٢٠٠/ مجاهد ، وقد صنعت العجائب ، وحققت من المواقف والبطولات ما يشبه المعجزات على الرغم من ضعف الإمكانيات ، وقلة الاستعدادات !!.

وكيف لا ، وقد خرجت هذه الفرقة المؤمنة من أرض الكنانة تطلب الشهادة في سبيل الله ، وتسعى إلى الموت ركضًا بغير زاد ، حتى قال أحد اليهود للضابط المجاهد « معروف الحضرمي » - وكان أسيرًا لديهم - : « نحن لا نخاف أي قوة كما نخاف من هؤلاء المتطوعين ، فسأله الضابط : وما الذي يخيفكم منهم ؟ قال اليهودي : لقد هاجرنا وجئنا من بلاد شتى إلى هذه الأرض لنعيش ، وهؤلاء جاؤوا ليموتوا !! » .

وكم سمعنا في حرب رمضان الأخيرة عن فئة ممن كانت تؤدي الخدمة الإلزامية ، قد أبلت البلاء الحسن ، وثبتت ثبات الأبطال ، وكبدت العدو اليهودي الخسائر الفادحة ، وسجلت من البطولات ما يفخر به التاريخ ..؟!!.

وما ذاك إلا لقتالها من أجل إعلاء كلمة الله ، واتصافها بالعقيدة الربانية الراسخة ، والإيمان التوكلي المتين ، وتحليهم بالأخلاق الفاضلة ، والرجولة الكاملة ، والأدب الإسلامي الرفيع .

ولاشك لو كانت الجيوش كلها في هذه الحرب على هذا المستوى من الإيمان الراسخ ، والخلق الفاضل ، والرجولة الحقة ، والنية الصالحة ، والشجاعة الفائقة ، والإقدام العظيم .. لحققوا في هذه الحرب فتحًا ، وأحرزوا نصرًا ، وسجلوا من البطولات ما تعتز به الأجيال على كر العصور ، ومدى الأيام . ولكن مع الأسف ليس لتمنّيات « لو » في هذه الحرب ، والحروب التي سبقتها من حظ ، وليس لها من نصيب !!.

* * *

وإن شاء اللّه فلابد أن يأتي هذا اليوم الذي تدخل فيه أمة الحبيب الأعظم ﷺ الحرب باسم الإسلام ، ولابد أن تخوض معارك الجهاد تحت راية لا إله إلا اللّه ، ولابد أن تقاتل العدو ، وتحرر فلسطين من أجل إعلاء كلمة اللّه ..

والمبشرات في إقامة دولة الإسلام كثيرة ، والإخبارات في انتصارنا على إسرائيل ظهرت إرهاصاتها الآن ..

وإني لأهيب بشباب الإسلام في كل مكان أن يعدّوا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يؤذن فيه مؤذن الجهاد ، ويحدو صوت الحادي بشعار « اللّه أكبر » .

اسمعوها مني صريحة مدوية يا شباب ، يا جنود الفداء ، يا حرّاس العقيدة ، يا بناة المجد ، يا دعاة الخير ، يا أمل الإسلام في غربة الإسلام .

اسمعوا مني ما أقول لكم :

من منكم – يا شباب – يستنكف عن نيل الشهادة يوم يناديكم الإسلام أن ترخصوا الروح في سبيله ، وتريقوا الدم الغالي في طريق نصره وإعزازه ؟.

من منكم – يا شباب – لا يتمنى أن يخر شهيدًا في سبيل اللّه ليحظى في عليين بمقعد صدق عند مليك مقتدر ؟

من منكم – يا شباب – لا يرغب أن يلحق بركب الشهداء ، ليسطر في التاريخ مآثر المجد ، ولوحات الخلود ؟.

من منكم – يا شباب – لا ينتظر اليوم الذي فيه تبذل الروح ، ليزفّ إلى الجنة بتهاليل الملائكة ، وزغاريد الحور العين ؟.

من منكم – يا شباب – لا يتلهف إلى الشهادة ليحظى بجوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مقامهم العلوي ؟

إن الذين يتهيبون الموت ، ويجبنون عند اللقاء طلبًا للبقاء ، ورغبة في الحياة ، وفرارًا من القدر .. نقول لهؤلاء : إن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الإيمان باللّه ، والاعتماد عليه ، والرضى بقضائه ، والتسليم لجنابه . فهو وحده صاحب المشيئة والأمر ، وهو وحده المتفرد بالسلطان والحكم ، لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

(١) سورة الحديد آية : ٢٢ .

ماذا يصنع الجبناء إذا ماتوا على فرشهم كما يموت العير هل يتخذون لهم نفقًا في الأرض أم سلمًا في السماء : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (١) .

ألا فليستمعوا إلى ما قاله سيف الله خالد بن الوليد ﷺ حين أدركته الوفاة وهو على الفراش : « إني حضرت مائة حرب أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، أو رمية سهم ، أهكذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير ؟ (٢) ، فلا نامت أعين الجبناء ؟!! » .

وليسمعوا إلى ما قاله البطل الشجاع أمير المؤمنين عليٌّ كرم الله وجهه ، وهو يخوض المعارك ، ويقارع الأبطال :

أيُّ يومَيْنِ من الموت أفر ... يوم لا يقدر أم يوم قُدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

وليسمعوا إلى ما قاله نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في توصيته لابن عباس فيما رواه الترمذي : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ؛ رُفعت الأقلام ، وجفت الصحف » (٣) .

وليستمعوا إلى ما قاله المتنبي في طعم الموت العظيم :

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وما أحسن ما قاله بعضهم في الصبر على الموت والإيمان بالقدر :

أقول لها وقد طارت شعاعًا ... من الأبطال ويحك لن تُراعي
فإنك لو سألت بقاءَ يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاع

إن الرجال الذين يُحوّلون مجرى الأحداث في واقعهم ، ويكتبون التاريخ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٤ . (٢) العير : الحمار .
(٣) أخرجه : الترمذي في السنن (٢٥١٦) وأحمد في مسنده ٢٩٣/١ .

يبطولاتهم ، ويشيدون صرح الإسلام بعزماتهم .. هم الذين خاضوا معارك الجهاد ، وتمنوا الشهادة في سبيل اللّه ، ولم يكترثوا بالموت من أجل إعلاء كلمة اللّه .

وإليكم – يا شباب – نماذج من بطولاتهم ، ومواقف من تضحياتهم :

أ – روي أن « أبا خيثمة » ﷺ قُتل ابنه في معركة بدر ، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ يقول : « لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت – واللّه – عليها حريصًا ، حتى ساهمت ابني في الخروج ، فخرج في القرعة سهمه ، فرزق الشهادة ؛ وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : « الحق بنا يا أبتاه ترافقنا في الجنة فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا » ، وقد أصبحت يا رسول اللّه مشتاقًا إلى مرافقته ، وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادعُ اللّه يا رسول اللّه أن يرزقني الشهادة ومرافقة « خيثمة » في الجنة ، فدعا الرسول ﷺ له فقتل في معركة أحد شهيدًا .

ب – وكان « عمرو بن الجموح » أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول اللّه ﷺ ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج مع رسول اللّه ﷺ للجهاد ، فقال له بنوه : « إن اللّه قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع اللّه عنك الجهاد » ؛ فأتى « عمرو » رسول اللّه ﷺ فقال يا رسول اللّه : إن بنيّ هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك ، وواللّه إني لأرجو أن أستشهد في سبيل اللّه ، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة !! ، فقال رسول اللّه ﷺ : « أما أنت فقد وضع اللّه عنك الجهاد » ؛ وقال لبنيه : « وما عليكم ألا تدعوه لعل اللّه ﷻ أن يرزقه الشهادة » ، فخرج مع رسول اللّه ﷺ فقتل يوم أحد شهيدًا [١] .

جـ – وقال « نعيم بن مالك » : « يا نبي اللّه لا تحرمنا ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها ، فقال رسول اللّه ﷺ : بم ؟ قال : بأني أحب اللّه ورسوله ، ولا أفر يوم الزحف ، فقال له الرسول ﷺ : صدقت ، واستشهد يومئذ » .

د – وهذا « عمير بن الحمام » لما سمع رسول اللّه ﷺ يقول لأصحابه يوم بدر : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، قال عمير : يا رسول اللّه ، جنة عرضها السموات والأرض !! .. قال : نعم ، قال بَخٍ بَخٍ [٢] ، قال رسول اللّه ﷺ :

---

(١) أخرجه : البيهقي في السنن ٩/٢٤ .

(٢) كلمات تدل على الرضى والشوق إلى الجنة .

وما يحملك على قول بخ بَخ قال : لا واللّه يا رسول اللّه إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فإنك من أهلها ، فأخرج تمرات من قَرْنه (جعبته) ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ، ثم دخل المعركة حاملًا سلاحه بيمينه ، يهوي بها على رقاب المشركين وهو يصيح :

ركضًا إلى اللّه بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في اللّه على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يجاهد حتى قتل ﷺ يوم بدر شهيدًا [١] .

هـ - قرأ « أبو طلحة الأنصاري » سورة « براءة » حتى بلغ هذه الآية : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] .

فقال ﷺ : يأمرنا اللّه أن نخرج للجهاد خفافًا وثقالًا ، شبانًا وكهولًا ، ما سمع اللّه عذر أحد ، وقال لبنيه :

أي بني .. جهزوني .. جهزوني .. (يعني للجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك اللّه قد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك !، قال : لا ، جهزوني .. فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها ﷺ .

و - وخرج « سعيد بن المسيب » إلى الغزو ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل ! فقال : استنفر اللّه الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب ، كثرت السواد ، وحفظت المتاع .

ز - وكان الواحد من رجال الصحابة والسلف إذا سقط في ميادين الجهاد قال : وعجلت إليك ربي لترضى .

- وكان آخر يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

---

(١) أخرجه : مسلم في الإمارة (١٤٥) وأحمد في مسنده ١٣٦/٣ ، والحاكم في المستدرك ٤٢٦/٣ ، والبيهقي في السنن ٩٩/٩ .

(٢) سورة التوبة آية : ٤١ .

نعم قد يكون في اشتراط الذين يتبجحون بالدفاع عن فلسطين مصلحة أكثر وفائدة أعظم .. ولكن ما الفائدة مما يجنيه أولئك مادامت إسرائيل قائمة ، وسائر الحقوق مغتصبة ، وأمريكا في قلب البلاد العربية مهيمنة ؟

ولاشك أن هذه المصالحة التي سوف يحققونها ويصلون إليها تتنافى مع مبادئ الإسلام ، وتتضارب مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان .. ذلك لأن الإسلام دين الحق والعدل والجهاد .. فهو يرفض بحزم أي مفاوضة مع العدو يكون من جرائها ضياع حقّ ، أو انتهاك حرمة ، أو إهدار كرامة ..

ومبدأ الإسلام في الدفاع عن الحقوق المغتصبة ، والحرمات المنتهكة ، قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ (١) .

وصفوة القول : إن حربنا مع إسرائيل يجب أن تستمر ولو كلفتنا الملايين من الضحايا والشهداء حتى نحرّر آخر شبر من أرض فلسطين دفاعًا عن الحق ، وانتصارًا للكرامة ، وجهادًا في سبيل الله ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

ما أراك – أخي القارئ بعد تبيان هذه الحقائق – إلا ترسخت في نفسك القناعة الكاملة بأن اليهود مغتصبون وظالمون ومعتدون ..

وليس ثمة من حل إلا أن نحمل السلاح ونعلن للدنيا الجهاد المقدس ، وندخل المعركة باسم الإسلام ، وتحت راية لا إله إلا الله .. لنحرر المسجد الأقصى والأرض الفلسطينية من براثن اليهود الغاصبين الظالمين مهما كلفنا ذلك من ثمن ، ومهما بذلنا من شهداء وتضحيات ..

ولابد – إن شاء الله – أن يأتي هذا اليوم الذي فيه يتحقق النصر الأكبر ، والفتح الأعظم ، وتعود أرض فلسطين مع مسجدها الأقصى ملكًا للمسلمين ، وجزءًا من الوطن الإسلامي الكبير وما ذلك على الله بعزيز .

وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٠ – ١٩٠ .

غـــدًا ألـقـــى الأحـبـــة ــــ مـحـمـدًا وصـــحـبـــه

– وكان ثالث يقول وهو يغالب روحه في ساحة الشرف : هذا هو يوم الفرح الأكبر .

وكان رابع يقول وهو في ساحة الإعدام ، والأعداء محيطون به من كل جانب :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ــــ على أي جنب كان في الله مصرعي [(١)]

– وكان خامس يقول – وهو يسلم الروح إلى بارئها – : « يا سعد ، الجنة ورب النضر أجد ريحها من وراء أحد » [(٢)] .

ورحم الله شاعر الإسلام « محمد إقبال » فيما قاله في وصف الرعيل الأول من السلف الذين تربوا في مدارس الإيمان ، وخاضوا معارك الجهاد ، وتمنوا الشهادة في سبيل الله ..

فلنستمع إلى قصيدته العصماء :

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسـ ــــ ـمك فوق هامات النجوم منارا

كنا جبالًا في الجبال وربما ــــ سرنا على موج البحار بحارا

بمعابد الإفرنج كان أذاننا ــــ قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفريقية ولا صحراؤها ــــ سجداتنا والأرض تقذف نارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا ــــ لم نخش يومًا غاشمًا جبّارًا

وكان ظل السيف ظل حديقةٍ ــــ خضراء تنبت حولها الأزهارا

لم نخش طاغوتًا يحاربنا ولو ــــ نصب المنايا حولنا أسوارًا

ندعو جهارًا لا إله سوى الذي ــــ صنع الوجود وقدر الأقدارا

ورؤسنا يا رب فوق أكفنا ــــ نرجو ثوابك مغنما وجوارا

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهـ ــــ ـدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها ــــ كنزًا وصاغ الحلي والدينارا

---

(١) انظر : صحيح البخاري كتاب المغازي (٤٠٨٦) .

(٢) أخرجه : البخاري في المغازي (٤٠٤٨) .

فيا شباب الإسلام :

انتظروا هذا اليوم الذي تقدمون فيه المهج والأرواح رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإعزاز دينه في الأرض ، وإزاحة الطواغيت من مجتمعات الإسلام ، وتحرير الأرض المقدسة من براثن يهود ، واغتصاب إسرائيل ..

إن النصر - يا شباب - لا يأتي بالتمني ، والإخلاد إلى الأرض ، والرضى بالواقع ، وإيثار السلامة ، وحب الدنيا ، وكراهية الموت ... وإنما يأتي النصر بتقديم الكتائب تلو الكتائب من الضحايا ، والقوافل تلو القوافل من الشهداء .. عبر الصراع القائم ، والكفاح الدامي ، والجهاد المرير ..

* * *

المسلمون اليوم - يا شباب - يبلغ عددهم في العالم حوالي ألف مليون .. والشباب منهم يبلغ عدده حوالي الخُمس أو يزيد ..

[فهل يأتي اليوم الذي تتوحد فيه أمة الإسلام على قلب رجل واحد ، ثم تختار مليون شاب أو أكثر ممن عرفوا بالإيمان ، وتحلوا بالتقوى .. وتطلقهم كالأسود الأشاوس إلى الديار المقدسة ، ليحرروا أرض فلسطين ، ويزيلوا من الوجود دولة إسرائيل ؟!!.

وهل يأتي اليوم الذي يتجمع فيه كل حكام المسلمين ، ليتخذوا قرارًا واحدًا ، بالوقوف صفًّا واحدًا أمام العدو المغتصب ، يجاهدونه ويدافعون عن قدسهم الأسير ويحررون بيت المقدس حتى يأذن الله بالنصر ؟!!.

وماذا عليكم - يا شباب - لو سقط الآلاف منكم في ساحات الشرف والفداء شهداء حتى إذا خرجت أرواحكم إلى عليين هناك تلقتكم الملائكة ، وحفتكم الحور العين ؟!.

وأريد أن أبين لكم أمرًا آخر فاستمعوا إلى ما أقول لكم :

أمة الإسلام - يا شباب - لا يمكن أن تحرر أرضها من الطواغيت الصهاينة ، ولا يمكن أن تعيد إلى حظيرة الإسلام أرض الإسلام إلا بالجهاد ؛ ولا يمكن أن تستعيد هيبتها إلا بالجهاد ؛ ولا يمكن أن تحقق مكانتها المرموقة تحت الشمس إلا بالجهاد] [1] .

---

(١) عن نص المؤلف بتصرف .

فالجهاد هو طريق العزة ، وسبيل النصر ، ومفتاح السيادة ، وباب الخلود ..

والمجاهد يتربص على طريق التحرير والجهاد كما ألمحنا سابقًا إحدى الحسنيين : إما نصرًا ليعيش في الحياة عزيزًا ، وإما قتلًا ليلقى الله ﷻ شهيدًا ..

وكلا الأمرين خير ، وكلا الانتظارين فضيلة ، وكلا الغايتين شرف وكرامة ..

وصدق الله العظيم القائل في سورة التوبة : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [١] .

فيا شباب :

هذا - والله - وحده طريق النصر .

وهذا وحده طريق الجنة ..

وهذا وحده طريق الخلود ..

اسمعوا - يا شباب - إلى هذه الطائفة من أحاديث نبيكم عليه الصلاة والسلام في فضل المجاهد ، وكرامة الشهيد :

- روى مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » ، فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ قال نعم : فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه (أي غلافه) فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل » [٢] .

- وروى الشيخان عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة » ، وفي رواية : « لما يرى من فضل الشهادة » [٣] .

- وروى البخاري عن أنس ﷺ أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة ،

---

(١) سورة التوبة آية : ٥٢ .

(٢) أخرجه : مسلم في الإمارة (١٤٦) والترمذي في السنن (١٦٥٩) وأحمد في مسنده ٤١١/٤ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٩٠/٢ .

(٣) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٧) .

أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول اللّه ألا تحدثني عن حارثة ، وكان قتل يوم بدر ، فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان في غير ذلك أجتهد عليه في البكاء فقال : « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » (١) .

– وروى البخاري عن سمرة ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أرَ قط أحسن منها ، قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء » (٢) .

– وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها اللّه للمجاهدين في سبيل اللّه ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » (٣) .

– وروى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « تضمّن اللّه لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي ، وتصديق برسُلي فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلًا بما نال من أجر أو غنيمة ؛ والذي نفس محمد بيده ما من كَلْمٍ (أي جرح) يُكْلَمُ في سبيل اللّه إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم : لونه لون دم ، وريحه ريح مسك ؛ والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية (قطعة من الجيش) تغزو في سبيل اللّه أبدًا ، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ؛ والذي نفس محمد بيده لوَدِدْتُ أن أغزو في سبيل اللّه فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (٤) .

ويكفي الشهيد فخرًا وشرفًا وخلودًا أن ينزل اللّه في حقه هذه الآيات البينات التي تنطق بالحق ، وتهيب بالفضل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٩) .

(٢) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩١) .

(٣) أخرجه : البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠) والترمذي في السنن (٢٥٣٠) والبيهقي في السنن ١٥/٩ .

(٤) أخرجه : مسلم في الإيمان (١٠٣) وأحمد في مسنده ٣٩٩/٢ ، والبيهقي في السنن ٣٩/٩ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٦٩ – ١٧٠ .

فيا شباب :

احملوا في نفوسكم أصدق معاني الكرامة والفداء .

هيئوا أنفسكم لأعراس الخلود في مواكب الشهداء .

استجيبوا غدًا لداعي الحق ، ولبوا النداء ..

وعلى أيديكم – إن شاء اللّه – ستتحرر غدًا القدس ،، وتزول إسرائيل ..

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1] .

تم الكتاب بحمد اللّه وكان الفراغ من طبعه في

١/ محرم /١٤٠٢ ، الموافق ١٩٨١/١٠/٢٩

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٥ .

الفهرس

الموضوع الصفحة

رقم الإيداع
٢٠٠١ / ٧٣٥٤

الترقيم الدولى I.S.B.N
977-342-008-6

القضية الفلسطينية أكثر قضايا الأمة الإسلامية تعقيدًا ، وأكثرها أبعادًا ، سواء في ذلك جانبها العسكري أو أفقها السياسي ، أو أسبابها الاجتماعية والحضارية ، ولقد أخذت القضية الفلسطينية في العصر الحاضر اهتمام الإسلام والمسلمين بل والعالم أجمع ، ولا شك أن الإسلام بنظامه الكامل ، ومنهجه الواضح لم يقف مكتوف اليدين تجاه الكوارث التي تنتاب المسلمين ، وتَهزُّ كيانهم وتفقدهم أصالتهم ، وإنما يصنع من الحلول الجذرية والطرق الإيجابية ما إن أخذ المسلمون بهديها ومشوا على سننها لتحقق لهم النصر ، وأدل مثال على ذلك : انتصار المسلمين على التتار في عين جالوت ، وطرد الصليبيين من بيت المقدس على يد صلاح الدين عندما توحدت كلمة الأمة .

فكيف نستطيع تحرير أرض فلسطين من أعدائنا ؟ وما هي الوسيلة التي يتم بها هذا الانتصار ؟ وما هي أهمية أرض فلسطين بالنسبة للمسلمين ؟ وكيف دافع عنها المسلمون قديمًا وحديثًا ؟ وما هي حقيقة اليهود ؟ وما هو منهج الإسلام في التحرير والوصول إلى النصر ؟

هذا الكتاب الذي بين يديك يتناول هذه التساؤلات بالشرح والتوضيح وذلك من خلال رؤية الإسلام لها .



الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية
ت : ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
http://www.dar-alsalam.com
e-mail: info@dar-alsalam.com